رواية

« في حروف القاهرة »

obeikandl.com

اسم الكتاب : في حروف القاهرة
تأليف : كريم يوسف
تصميم الغلاف : جاد
التصحيح اللغوي : د.احمد عبد الحي – ا/احمد العربي
خط يدوي : ا/ عمر علام
رقم الإيداع: ٢٩٤٨٩ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى :ISBN
978-977-835-032-6

زحمة كتاب للثقافه والنشر – ١٥ ش السباق مول المريلاند
مصر الجديدة – القاهرة
تليفون :01205100596

© جميعُ الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

All rights are reserved. No part of thisbook may be reproduced ,stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from publisher

«في حروف القاهرة»

(رواية المستقبل)

للمؤلف

كريم يوسف

obeikandl.com

إهداء إلي

شارعنا الجانبي . والفرن اللي تحت البيت . وللناس القليله اللي حبتنا . والحزن المتغطي بضحكه . والعلم اللي طلع فاشوش . إهداء للسؤال اللي من غير جواب . والاجابة اللي اختارتلها السكات . إهداء للعامل الغلبان . والشاب اللي عنده حلم واللي معندهوش . إهداء الي الوطن اللي طلع منا العفن ومدارهوش . إهداء لمدرستي القديمه وصحاب زمان . لوشوش عدت علينا وحبناهم ومحبناش . ولحد مات وجوانا عاش ولحد عايش وجوانا مات . إهداء لأمي الحبيبه . لحاجات كان نفسي فيها ومطلتهاش . ولحاجات خدنها ومنستحقهاش . إهداء للورقه والقلم .

والأخير..... إهداء إلي الصديقه اللي غابت . ولما رجعت ماتت.

obeikandl.com

الموتُ شيءٌ حتميٌّ.. والانتحار خياري.

إن كنت مسيرًا فأنتظر الموت، وإن كنت مخيرًا فأقبل على الإنتحار.

هذا ما يقع فيه أبطال الرواية.

obeikandl.com

تمهيد أول

كل ما يُذكر في الرواية وُجد بداخل مذكرات لمريض انفصام، باسم

(رواية المستقبل)

وإن وُجد ما يشابه الواقع فهو من خيال مريض... وإن خدش حياء أحدهم.. فأنت مخير أيها القارئ وبمحض إرادتك أن تدفع من مالك كي تشتري هذه الرواية، أو حتى تضعها على جهازك مسروقة... فقط أنت مخير. ولا داعي للمزايدة.

obeikandl.com

تمهيد ثان

القاهرة ٢٠١٤
(البار العتيق بوسط البلد)

المكان مظلم... يجب أن تنحني قليلًا حتى تستطيع الدخول من الباب.... وعندما تعلو بنظراتك ترى كل من في المكان لم ينتبهوا لدخولك رغم صغر حجم المكان لكني منتبه تمامًا.... فالجميع لا يتكلمون ولكن عيونهم تقول الكثير.... يجلس الجميع وأمام كلٍ منهم كأسٌ من البرندي المصري الرخيص أو زجاجات ستيلا.. تلك البيرة المصرية التي طالما أحببتها.

خلفية صوت أم كلثوم جعلتهم جميعًا في زمن آخر....

نجلس لتبتسم لي "يارا" وهي تعرف أن المكان راقني كثيرًا، فلا تريد أن تتحدث في البداية حتى أشبع نظري وإحساسي بالمكان، فالحوائط

obeikandl.com

الخشبية جعلتني أشعر وكأنها كائنٌ حيٌ يتحدثُ إليّ... فلقد مر عليها الكثير، فهنا كان يجلس الحزين والكريم ، الضاحك والباكي، المتألم والعاشق. وأيضاً من كان مثلي يأخذ من عبق المكان إحساس النشوة للمستقبل حتى يصبح يومًا عتيقًا، يشعر به من يجلس بعدي بدون معرفته....

نعم كل هذا نطقت به الحوائط الخشبية!!!!!

هنا في البار العتيق في وسط البلد.....

أضفنا له لمحة عن الحاضر الغائب عنه، فابتسامة عين صديقتي التي دومًا سأظل أحبها، أصبحت واحدة من تلك الأعين المعلقة على الجدران التي يومًا ما سوف تحكي عنا؛ عن صداقةٍ بدأنا أن نحفرها على الجدران هنا.

"في البار العتيق بوسط البلد"

obeikandl.com

"يارا"

– بتصوري؟!

كان يتحدث بثقل من كثرة شرب البيرة. لم ينتبه للجرسون الذي بدأ أن يتأفف بسبب الجلوس لوقت متأخر، هذا الجرسون الذي بدأ يعمل هنا منذ أيامٍ قليلةٍ فقط ولا يعرف أننا الزبائن المفضلون لدى المكان منذ أكثر من عامٍ عندما أتيت به هنا أول مرة، وبدأ يتعلق بالمكان بشكل هستيري، يرى فيه عبق التاريخ الذي طالما افتقده في حياته العادية

– أجبلكو مزة تانية ولا إزازتين بيرة؟

نطقها الجرسون وكاد أن يرمي بوجهنا قشر الترمس الذي غمر الطرابيزة والأرض.

–شكراً...ومتجيش تاني إلا لما أنده عليك..

قالها للجرسون ولم تكن عادته أن يتعامل بهذا الشكل مع من يقدمون له الطلبات سواء في المقاهي أو البارات أو حتى الأماكن الفاخرة.. كان دائمًا يقول:

– متعرفيش هو أحسن مننا قد إيه ولا تعرفي حوجته اللي خلته يخدم

علينا.

نظر إلينا الجرسون بحقد فلم أجد سوى أن أعتذر له...

ـ معلش هو تقل في الشرب.

انتبهت قليلًا بعد أن أطفأ الجرسون الأضواء الساطعة وترك لنا لمبة صفراء وحيدة لتنير وجهه فقط. وقد بدا لي كالشبح المهزوم وبدأ في البكاء.. همهم بكلماتٍ لم أسمع منها شيئًا .... سوى:

ـ صدقيني الحياة في مصر بقت غير آدمية!!

لم يسعني فعل شيءٍ سوى أن أحتضنه بقوة.. دفعني بشدة ونظر إليّ وقال:

ـ يارا توعديني الفيديو ده يوصل للناس؟؟

هززت رأسي وأنا لا أعلم إن كان من الجيد مناقشته الآن وإن كنت سوف أنفذ ما قاله أو لا!! أوقفت التصوير بعد أن طلب مني ذلك. وأراد الخروج لنتمشى قليلًا في هدى الشعراوي. فقد أصبحت الآن الثالثة صباحًا؛ ولكنه دومًا اعتاد أن يتمشى قليلًا من "بار الكاب دور" إلى محطة رمسيس ويتجه إلى بيته ونفترق. أنا في محطة "السادات" وهو يكمل إلى رمسيس. أسندته بيدٍ حتى يقف وأخذت الكاميرا

باليد الأخرى. انحنينا قليلًا حتى نخرج من هذا البار، لنجد نسمة هواءٍ منعشة قد اعتدنا عليها في مثل هذا الوقت من السنة وفي هذا التوقيت المتأخر.... استنشق جرعةً كبيرةً من الهواء وكأنه يفيق بها من غيباته وسكره، لنجد ثلاثة شباب..... لم ينتبه لهم؛ فقد كان دائم الحرص على البعد عن تلك الصبغة من الشباب التي بدأت بالظهور في بداية الألفينات وطفحت بعد ٢٠١١.

لم تكتمل استقامته أو إفاقته لينتبه لما يفعلونه من حركات باليد ضامين كف يدهم، تعبيرًا عما بداخلهم.. تلك الحركة التي اشتهر بها المصري الذكر عندما يسب أو يتحرش، أو كناية عن رغبته في الجنس. حاولت ألا ينتبه لهم حتى لا يحدث ماحدث!!

فقد فاق من سكرته على أحدهم يقول: – ماتسيبها وخد عرقها.

لم أر قط –رغم أني دكتورة– عروق أحدهم تنفر في وجه أو يد مثل هكذا؛ فقد أحسست بحرارة جسده وكأنه بركانٌ على وشك الانفجار. ولم أنتبه لخطواته السريعة عندما أسقط هذا الشاب أرضًا. لم يتوقف الغضب هنا! ظل الصراع وأنا أحاول جاهدةً أن أفرقَ بينه وبينهم. لم أجد في الشارع سوى مجموعة من أطفال الشوارع يهتفون للأقوى، واثنين من المتسولين ليلًا لم يبالوا لما يحدث. توقف العراك بعد أن رفع أحدهم عرق خشب من تلك الخرابة واستقر بها فوق رأسه!

هنا فقط سقط على الأرض، وسقطتُ فوقه خوفًا عليه. فلم يسعهم إلا إن جعلوا من ظهري ومؤخرتي مركزًا لأصابعهم الوسطى. لن أنسى يومًا دموعي الممزوجة بدمائه! لم أنس يومًا وخز أصابعهم القاتلة لي، وإثبات رؤيته للمجتمع الذي أصبحنا نعيش فيه.

كان يلقب المجتمع المصري بعد ٢٠١١ بالمجتمع الحيواني الذي فُك له سرجه وأصبح يطيح بالكل. ولا يستطيع أن يوقفه إلا سكينة الجزار أو الحبس مرةً أخرى. لم أعرف هل الدماء على الأرض هي دموعي الثاقبة من قلبي أم من رأسه!!

توقفوا عندما سمعنا تلك السرينة الممزوجة بالضوء الأحمر والأزرق تقترب.. تفرقوا.....وتفرقت معهم روحي. لم يعد لهم أثر ولكن ظل من فستاني بعض البقايا على جسدي بعد أن أصبحت ملابسي الداخلية لوحةً ملوثةً بالدماء؛ مما جعلها منظرًا يتأمله هذا الأمين، الذي أوقف سيارة الأتاري التي تدور في شوارع وسط البلد ليلًا، ثم ارتجل منها ليقول: – إيه ده؟؟!! إيه إللي إنتي عاملاه في نفسك ده؟!

لم أفهم السؤال ولم أستطع الرد عليه غير بنظرةٍ مليئةٍ بالقهر والدموع.

ـ عايزة أعمل محضر.

"٢"

–الساعة الثامنة صباحًا، وقد خرجنا للتو من قسم الأزبكيه بعد ثلاث ساعات في عربية الأتاري.. كي يحصد الأمين بقية الاتاوة من المقاهي الساهرة في وسط البلد. ولم يأبه إن كنا في الخلف ويُوجد معي فردٌ مُصابٌ في رأسه! كلما ذكرته بأنه يجب أن يذهب إلى المستشفى يرد قائلًا:

– ورايا شغل هخلصه ونروح نعمل محضر، وبعدين مش أحسن ما تمشي دلوقتي بهدومك ديه....

لم تعد لدي الطاقة للنقاش أو الهجوم؛ بعد أن اطمأننت عليه بعد أن أفاق وهو ينظر إليّ قائلًا:

–خلينا في العربية لحد ما محل يفتح ونشتريلك حاجة تلبسيها.

نبرة الأسى التي تخللت صوته جعلتني أستسلم لرغبته. للمرة الأولي أراه بهذا الانكسار وبهذه الروح المعدومة!! فهو الطفل الرجل الضاحك دائما!! وصلنا أخيرا لقسم الشرطة. يتحرك أمامنا الأمين ونحن خلفه في تلك الطرقة منخفضة الإضاءة التي تشبه ممر السجون التي نراها في الأفلام.. فتح الضابط باب مكتبه قبل أن يطرق الأمين الباب وكأنه ينتظرنا. لا أعلم إذا كان يترقب وصولنا كي يرى ما يجب فعله أو أنه

obeikandl.com

اراد أن يكمل الفرجة عليّ....

جاء رد سؤالي عندما رأيتُ تلك الابتسامة على وجهه وهو يدخن السيجارة واستجوبني وعينه في عيني ويتحسس جسدي الشبه عاري أمامه بعينه؛ وكأن صديقي غير موجود في المكتب...

-إيه بقى اللي حصل؟؟

سردت له ما حدث....

-وإنتوا بقى عايزين تعملوا محضر في مين؟ قالها مستنكرا....

-في اللي ضربوه وعملوا فينا كدة...

أبغتني رد صديقي قاطعًا حديثي مع الضابط؛؛؛

-محضر فيك وفي الأمين.

قالها بكل ثقة! هل مازال تحت تأثير البيرة، أم هو واعٍ لما يقوله؟!! وهو دائمُ القول بأن عائلة النسر لا يمكن أن تشكو فردًا من أفرادها للآخر وينصفك!!!

رد الضابط بسخرية:

-يا حبيبي ده على أساس إيه؟ إنكوا مقفوشين في وضع مخل في

obeikandl.com

الطريق العام وهي نايمه فوقيك، ولا محضر سكر بين ولا الإتجار في الحشيش؟!

ثم أخرج من درج المكتب قطعة من الحشيش ووضعها أعلى مكتبه.

نظر إليّ صديقي العزيز مبتسمًا بانكسار وقال:

–مش قولتلك بلاش نروح القسم لأن دول اللي هياخدوا حقنا!! ثم استطرد كلامه موجهًا إلى الضابط.

–وإيه المطلوب نروح ولا نعمل إيه؟

–شوف إنت عايز إيه؛ عايز تاخدها وتمشي أنا ما شفتكومش.. عايز تعمل محضر خليك معانا شوية...

بدون كلمة واحدة أمسك بيدي وخرجنا إلى الطرقة المؤدية لخارج القسم، ثم وقف وخلع عنه قميصه الملطخ بالدماء ووضعه عليّ بعد أن أصر أن أرتدي بنطلونه أيضاً!! رغم فرق الحجم بيننا. وأصبح هو بملابسه الداخلية فقط!! أصبح المشهد في صمته بالمشهد السريالي الباهت الذي يختلط بك الأمر في فهمه، وتدور في رأسك جميع الأسئلة الوجودية والعدمية؛ لماذا وكيف؟ وأين؟ ومن؟ وهل من الطبيعي؟!!

جلس على الأرض ينفض عنه غصة قلبه ودموعه بداخل عينه التي كادت تنفجر من القهر، حتى رأى عسكري أعطاه مبلغًا من المال ليشتري له بنطلون وتي شيرت من الرصيف الذي يوجد في ميدان رمسيس. وأعطاه مبلغًا أكبر ليوافق أن يترك خدمته ربع ساعة....

ارتدى تلك الملابس التي عكست تمامًا حالته، فقد أصبح الشكل مطابقًا للروح المفقودة. مع القميص البرتقالي والبنطلون الأزرق؛ التي لولا ما حدث ما ارتدى هذا الذوق الباهت.. فكان رائعًا في اختيار ألوانه. أوصلني إلى محطة جمال عبد الناصر واعتذر بأنه لا يستطيع أن يوصلني إلى السادات. وهو يعلن الهزيمة كما فعلها من قبلُ من سُميت باسمه تلك المحطة؛ ولكن هو قرر الانسحاب والآخر استمر في غروره! لم ينطق بكلمةٍ واحدة. فقط ظل مطأطي الرأس! لم يرم عليّ السلام ولم يعطيني من حضنه كما اعتدنا في آخر كل لقاء! فقد كان يعانقني بشدة وكلما سألته لماذا تحضن بتلك الشدة؟

يرد إنها روحي التي تعانقك. تيقنت أن روحه ذهبت اليوم وعرفت أن اللقاء القادم سيطول انتظاره. أعطاني ظهره ورحل مختلف الهيئة مطأطأ الرأس والأكتاف... أعطاني ظهره والدموع تملأ قلبي.

(مذكرة ١)
القاهرة ١٩٩٨

– ماما . . .عايز أطلع السطح أطير الطيارة.

– ماشي بس خللي بالك من السور.

لم يكن الدور الخامس عاليًا ولكن بالنسبة لطفل لم يكمل الحادية عشر كان عاليًا. تنتشر أرايل التلفاز في أرجاء السطح. في منتصفه سور من الطوب الأحمر. . كان ينوي صاحب العمارة بناء دور آخر؛ ولكنه مات قبل أن يكمله. هذا السور الذي دائمًا أخاف أمي . . . . تسلقتُ عليه بكل جرأة غيرَ مبالٍ بكلمة الخوف؛ جرأة لا أملكها الآن. وبكل ما أوتيت بثقة وأمل. انتظرت بعض الهواء الذي أخذ طيارتي الورق ورفعها لأعلى. تلك النوعية من الطيارات التي ومازلت أتيقن في صناعتها. ولكني دومًا أفشل في طيرانها.

محاولتي في الصعود على السور جنت ثمارها ؛ فقد حلقت الطائرة في السماء. وكلما تركت لها الحبل تحلق أكثر وأكثر. وكلما حلقت كان يرفرف قلبي فرحًا، ويعلو صوتي معها. . غيرَ مبالٍ بمن يسمعني،

أو ماذا سيُقال عني!! كانت طائرتي أكثرَ شيءٍ يفرحني. وإن صادفت أن حلقت في السماء طائرة حقيقية؛ يتملكني إحساس النشوة بأنني أستطيع الوصول إليها بطائرتي الورقية الهزيلة.. أصرخ بعلو صوتي:

–هوصلك.. أنا أقوى منك.

كنت أقولها بثقة، بعفوية، بتحدٍ كبير.. يؤكد لي أن يومًا ستأخذني طائرتي إلى أعلى وأحلق معها لأرى الدنيا من السماء. ظللت أترك الحبل أكثر كي تعلو، على أمل أن تصل إلى السماء. حاولت مرارًا أن أصل طائرتي –ذات الحبل القصير مهما طال– للطائرة المحلقة في السماء! اشتريت الكثير من الحبال، ولضمت القديم بالجديد.. ولكن لا هي طالت السماء ولا أنا حلقت معها! انقطع الحبل القديم الذائب، وحلقت حينها عاليًا ولكنها تركتني!! حزنت عليها لأيام بل لأسابيع. وعندما عاندت القدر بأنني سوف لا أصنع طائرة أخرى إلا بعد أن أجد طائرتي ذات الخيط الذائب القصير؛ لم أحلق بطائرة مرة أخرى.. ولا استعدت تلك الفرحة ثانيةً؛ ولم يعل صوتي....

obeikandl.com

القاهرة ١٩٩٨

- حاضر.. حاجز أطلع السطح أطير الطيارة
- حاشي بس خلي بالك من السور

لم يكن السور الخاص عالياً ولكن ~~جلسته~~ بالنسبة لطفل لم يكمل الحادية عشر عالية... تنشر آريل التلفاز في أرجاء السطح، في منتصف سور من الطوب الأحمر كان ينوي صاحب العمارة بناء دور آخر، ولكنه مات قبل أن يكمله، هذا السور الذي دوماً أخاف أمي تسلقت عليه بكل جرأة غير مبالية بكلمة الخوف، جرأة لا أملكها الآن، وبكل ما أوتيت بشقة وأحل انتظرت بعض الوقت الذي أخذ طياري الورق ورفعها لأعلى، تلك النوعية من الطيارات التي وحازلت أتقن صناعتها ولكني دوماً أفشل في طيرانها.

حاولت في الصعود على السور أجنح كعادتها، فقد حلقت الطائرة في السماء وكما تريد لها العبل تحلق أكثر وأكثر وكلما حلقت كان يرفرف قلبي فرحاً ما ويعلو صوتي وحدها غير مبالي بمن يسمعني أو ماذا سيقال عني.

كانت طائرتي أكثر شيء يفرحني، وبان عباد في أن حلقت في السماء طائرة حقيقية يتملكني .....

إحساس بأنني أستطيع الوصول إليها بطائرتي الورقية
الوحيدة ، أصرخ بكل صوتي :
- لا وصلك .. أنا أقوى منك

عفوية

كنت أقولها بثقة وعفوية ، بتحدي يا ترى لي أن يوماً
ستأخذني طائرتي إلى أعلى وأحلق عالياً لأرى الدنيا من
السماء ، ظللت أترك الحبل أكثر فأكثر ، كلما أرخي
أن تصل إلى السماء حاولت مراراً وتكراراً أن أصل
بطائرتي ذات الحبل القصير معها فحول للطائرة المعلقة
في السماء .

أشتريت الكثير من الحبال والبعض القديم بالجديد
ولكن لا هي طالت السماء ولا أنا حققت حلمي ، انقطع
الحبل القديم الذائب وبقينا ... حلقة عالية ولكنها
تركتني ، حزينة عليها لأيام بل لأسابيع ، وعندما عاندت
القدر بأنني سوف لا أصنع طائرة أخرى إلا بعد أن أجد
طائرتي ذات الخيط الذائب القصير ... ومنذ تلك اللحظة
لم أحلق بطائرة أخرى ولا أستعدت تلك الفرحة ثانية

ولم يخلو صوتي .....

وعلى ذكرى الجرأة التي كنت بها؛ حاولت جاهدًا أن أعيشها يومًا ما، فأنهيت نصف زجاجة الويسكي. واتجهت إلى إحدى الميادين المعروفة، وقفزت في النافورة وسط ذهول الجميع. لم أكن أعرف هل بهذا أستعيد جرأتي؛ أم أني مازلت خائفًا وأريد استعادة توازني مرةً أخرى!!!!!

فلقد أنكرت كلَ ما تعلمته منذ أن وُلدت وحتى الآن. وها أنا خارجٌ من النافورة بملابس تتقاطر منها المياه. ولكن تُرى هل سيغفرون لي عند عودتي؟ ... هل سأنجو من العقاب؟

لا يهم؛؛ فلا شيء يفوق متعة القفز في النافورة المتدفقة.

obeikandl.com

(مذكرة ٢)
القاهره ٢٠١٢

أجلس على إحدى مقاهي وسط البلد التي أصبحت تعج بالشباب..
منذ سنوات قليلة كانت المقاهي لكبار السن والقليل منهم شباب.
هذا التحول الذي أثار انتباه " كيارا" تلك الفتاة الإيطالية التي تعرفت عليها في إحدى ندوات الجامعة الأمريكية، ثم أصبحت حبيبتي الأجنبية الأولي.. التي أوضحت لي مدى ضآلتنا رغم كونها من الجانب الريفي في إيطاليا ولكنها كانت تتمتع بحسٍ فنيٍ عالٍ. هذه الفتاه أسر لبها المجتمع المصري!

كانت دائمة القول بأنه مجتمع مثل المرحاض ذي الرائحة الجميلة! كل من يوجد فيه يخال نفسه أفضل من الآخر؛ وجميعهم مثل الخراء! فقد يختلفون في اللون أو الطول أو السن أو كثرة وقلة المال؛ وفي لحظةٍ واحدةٍ يأتي أحدهم ويضغط هذا الزر الذي يجعلهم في طي النسيان.
ثم يأتي بعدهم بعض الخراء الذي يملأ المرحاض من جديد.. هذا التشبيه الذي جعلنا متفقين بداخلي؛ مختلفين ظاهريًا لعدم تحمل هذا التشبيه البشع على موطني.

obeikandl.com

جاءت إلى مصر كي تكمل بحثها عن الدول النامية. أحبت العيش فيها وكانت كثيرًا ما تجلس على القهاوي المنتشرة بوسط البلد، حتى أصبحت زبونة مشهورة لدى أصحاب القهاوي.. دخلتُ جميع بارات مصر بصحبتها؛ فهي صاحبة الباسبور الإيطالي وأنا المصري صاحب البلد الذي حُرم عليه دخول العديد من مناطق بلاده!! أثارت انتباهي بإحدى أبحاثها بأن عام ٢٠٠٩ لم يتجاوز عدد الشباب على المقاهي ال ٢٥٪ أما الآن أصبح عددهم يتخطى ال ٩٠٪!! هذا البحث المخيف يحمل في طياته حالة المجتمع. ليس فقط من البطالة؛ ولكن أيضاً الحالة النفسية العامة للشباب. أصبحت تتسم بالإحباط، وكثيرٍ من الاكتئاب.

كانت المقاهي بمثابة جلسة علاج مفتوحة. يجلسون حول الطاولة في حالة رفض تام للمعتقدات وعادات المجتمع. فقد أصبحت المقاهي أشبه بالمجتمع الأوروبي في جلساته؛ ترى مختلف الأشكال من الشباب، وتجلس الفتيات بملابس مغايرة للمجتمع حتى إنهم تعلموا تقبيل أصدقائهم من الرجال في وسط الشارع. كان قديمًا هذا الشكل يقتصر على الطبقه العليا أو المشاهير. أما اليوم أصبح للثلاثة طبقات إن وجدت الوسطى. لم ينتبني الاندهاش عند شرحها لي التطورات التي تحدث. فقط أريد أن أجلس معها في تلك الغرفة المظلمة ذات

الإضاءة الزرقاء التي اخترتها بعناية، ويدها تتسلل إلى رقبتي لتتهيأ كالأسد الذي ينوي على صيد فريسته.. هذا ما أفكر فيه الآن. نعم فأنا الشرقي الذي لم يتجاوز بعد الحيوانية بداخله. الحقيقة لم يكن الشرقي فقط الذي يريد هذا.. جميع رجال الارض في مختلف الأوطان يريدون ذلك من الأنثى؛ وما على الأنثي إلا أن تنوي أولًا ثم ترسل بعض الإشارات التي تجعل من الذكر مجرد آلة تعمل حسب أوامر الأنثى.. كيارا تلك الساحرة الإيطالية التي دومًا تنتقد مجتمعي المزدوج...قالت:

« ما أن يغادر كل من على الطاولة ويتفرقوا يعودوا من جديد إلى جذورهم؛ لتجد الرجل منهم ينطوي تخوفًا من الشارع ونظرات المارة بشكل ملابسه التي يرتديها..»

وترتدي الفتيات الزي والوجه الآخر لتجنب عادات وتقاليد المجتمع التي يُباح له افتراسها ما لم (تستر نفسها). تلك الجلسة العلاجية التي يخرج كل من فيها طاقته بالضحك بصوتٍ عالٍ على أتفه الأسباب، ثم يتفرقون ليتوحد كلٌ منهم في دائرته الخاصة.

(الاكتئاب).

لا أعلم لماذا اختفت كيارا دون مقدمات!! كل ما أتذكره في هذه الليلة قبل اختفائها من حياتي مثل الباقين تلك الكلمات التي نطقتها بالإيطالية بعد أن رأتني أقبل إحدى صديقاتها التي تسكن معها الشقة (أنت لا تعرف طريقًا للحفاظ على الأشياء) أكانت تعتقد أنني أحببتها؟! ولكن كيف؟! وإن كانت تلبي رغبتها الجنسية مع أي أحد يقبل عليها!!! لا أعلم ولا يشغلني الآن أين هي. كل ما يجول في بالي كيف أخرج من هذه الحالة، وأنا حبيس عقلي حتى وسط القهوة المليئة بالمرضى مثلي.

obeikandl.com

أجلس على أحد مقاعد وسط البلد التي أصبحت تعج بالشباب منذ سنوات قليلة كانت المقاعد للكبار السن وقليل منهم شباب هذا التحول الذي أثار إنتباهي كبيرا تلك الفتاة الإيطالية التي تعرفت عليها في إحدى ندوات الجامعة الأمريكية ثم أصبحت حبيبتي الأجنبية الأولى التي بدورها أوضحت لي مدى خشيتنا رغم كوننا من الجانب الرومانسي (إيطاليا) ولكنها كانت تتصنع بجلس فلس عالي هذه الفتاة أسيرة لبوابة المجتمع المصري!

كانت دائمة القول بإنه مجتمع مثل الحرباء ذو رائحة جميلة كل ما يوجد فيه يختلف نفسه فوضى من الذهب وجميعهم مثل الحرباء فقد يختلفوا في اللون أو الطول أو الحسن أو كثرة وقلة المال وفي لحظة واحدة يأتي أحدهم ويضغط هذا الزر الذي يجعلهم في طي النسيان ثم يأتي بعدهم بعض الحرباء الذي يملأ الحرباء من جديد هذا التشبيه الذي جعلنا متفقين بداخلي مختلفين ظاهريا لعدم تحمل هذا التشبيه البشع على موطني.

جاءت إلى مصر كي تتعلم بعضها عن الدول الناجية ،
أحبت العيش فيها وكانت كثيراً ما تجلس على القهاوي
المنتشرة بوسط البلد ، حتى أصبحت زبونة
مشهورة لدى أصحاب القهاوي ، دخلت جميع
بارات مصر بعد هجرتها ، فهي صاحبة الباسبور
الإيطالي وأنا المصري صاحب البلد الذي حرم عليه
دخول العديد من محافظ بلاده .
أشارت إلى انتباه مصر بإحدى أبحاثها بأن عام ٢٠٠٩ لم
يتجاوز عدد الشباب على المقاهي الـ ١٠٢٥
أما الآن أصبح عددهم يتخطى الـ ٩٠ ٪ ،
هذا البحث المضيف يعمل في طياته حالة المجتمع ،
ليس فقط من البطالة ولكن أيضاً الحالة النفسية
العامة للشباب ، أصبحت تتسم بالإحباط والكثير
من الإكتئاب .

كانت المقاهي بمثابة جلسة علاج مفتوحة ، يجلسون
حول الطاولة في حالة رفض تام للمخططات وعادات
المجتمع ، فقد أصبحت المقاهي أشبه بالمجتمع
الذي يروي في جلساته ، تري مختلف الأشكال
من الشباب ، تجلس الفتيات بملابس مغايرة

للمجتمع) حتى حاولوا تقبيل أحذيتهم من
الرجال في وسط الشارع) كان قديماً هذا
الشكل يقتصر على الطبقة العليا والمشاهير)
أما اليوم فجميع الثلاثة طبقات إن وجدت الوسطى
لم يستفيدوا الإندماش عند شرحوا لي التطورات التي
تحدث) فقط أريد أن أجلس معها في تلك الغرفة
المظلمة ذات الإضاءة الزرقاء التي اختارتها بعناية)
وبدأها تتسلل إلى رغبتي لتتوحد بالوحش الذي
ينوي على صيد فريسته) هذا ما أفعله في الآن)
نعم ... فأنا الشرقي الذي لم يتبادر بعد الحيوانية
بداخله) الحقيقة لم يكن الشرقي فقط الذي يريد
هذا) فجميع رجال الأرض في مختلف الأوطان تريد
ذلك من الأنثى) وما على الأنثى أن تنوي أولاً
ثم ترسل بعض الإشارات التي تدخل من الذكر
آلة تعمل حسب أوامر الأنثى) كيف ؟ ....
تلك المساحة الإيحائية التي دوماً تنتصر مجتمعي
الصندوق .

ما أن يغادر كل من على الطاولة ويتفرقوا ، يعودون من جديد إلى جذورهم لتجد الرجل منهم ينطوي تحوفاً من الشارع وتظهر الحارة بالبستايل الذي يرتديه ، وترتدي الفتيات الزي والوجه الآخر لتجنب عادات وتقاليد المجتمع الذي يبيح له إختراسوا عالم (تستعرضوا) تلك الجلسة الخارجية التي يخرج كل ما فيها طاقته بالضحك بصوت عالي على زلة الشباب ، ثم يتفرقوا ليتوجه كلاً منهم في دائرته الخاصة (الإكتئاب) .

لا أعلم لماذا إختفت كلمات (دون مقدمات) كل ما أتذكره في هذه الليلة قبل إختفائها من حياتي مثل الباقين ، تلك اللحظات التي نظفتوا بالإيطالية بعد أن رأتني قبل إحدى صديقاتها التي تسكن معها الشقة :
(أنت لا تعرف طريق للحفاظ على الأشياء)

أكانت تعتقد أنني أحبتها ولكن كيف وهي التي تلبي رغباتها الجنسية مع أي أحد يقبل عليها !!
لا أعلم ولا يشغلني الآن أين هي ، كل ما يجول في بالي كيف أخرج من هذه الحالة ، وأي هيبس خفلي حتى وسط القوة الهلوسة بالمرض خفلي .

"يارا"

القاهرة ٢٠١٦

نظرات الجميع هنا تذكرني بوخز أصابع المتحرشين، وكأن خلعي للحجاب مرةً أخرى جعلني عاريةً تمامًا في نظرهم. عملت هنا بعد أن قررت أن أترك الطب وأعمل بالصحافة، فقد كنت أحتاج لتلك الوجوه الجديدة لخلق مجتمع آخر أكثر تفهمًا ولكني تعمقت بكل ما أملك في هذا المجتمع حتى أصبحت نسخةً مكررةً لكل البنات هنا.

طرحة سوداء أو حمراء.. بدي كارينا كثير التعرق في الصيف أو الشتاء.. روتين.. حياة مصرية بامتياز.....

أتذكر عند دخولي هنا أول يوم! عندما أراد المدير وهو صحفي مرموق بأن أرتدي الحجاب كي أغطي جمالي الفاتن.... كما قال!!

وأنه سوف يضمن لي الترقية بسرعة... لم أخض معه النقاش ولا أعلم لماذا منذ عامين وافقت على هذا السخف المبين!!

وها أنا الآن سكرتارية المدير العام لتلك الصحيفة المرموقة، بعد أن خضت علاقات كثيرة مع مديرها الذي كان ينوي تحويلي من حرة إلى عبدة له. يشتهي كل ما هو شاذ بيننا حتى وأن حيوانه المفضل

obeikandl.com

"الحمار" الذي طالما تقمصه وركبت على ظهره. ويصطنع أمام زملائي بأنه ينسى اسمي كثيرًا. قضيتُ العامين وروحي مسلوبة مني.

"يحيى"!!... لماذا تركتني كل هذا؟ لماذا اختفيت تمامًا؟ فما أكثر الكوارث التي حلت بك يومًا وكنت الأقوى.

بعد عامين يرن هاتفي بصوته العذب يحدثني بكلمة واحدة (واحشاني) وأنه يريد رؤيتي اليوم فقد عدت إلى جذوري. الى من أكون.. اليوم سوف يأتي ليصطحبني إلى إحدى باراته أو من الممكن أن نعود مرةً أخرى للكاب دور.

– يارا....

جاءني صوت زميلة لي في العمل، وعرفت قبل أن تفتح الحديث ماذا تريد...

–نعم..

–ليه يا يارا قلعتي الحجاب؟ كان شكلك حلو أوي بيه!! كل الزملا مستغربينك ومكسوفين ييجوا يتكلموا معاكي.

– وانتي متكسفتيش ليه؟!

وقع سؤالي كالمياه المثلجة عليها! غريب أمرهم هؤلاء يتعجبون من رد

الفعل ولا يخطئون أبدًا في فعلهم.

–علشان انتي صاحبتي وأعرف عنك كل حاجة. حتى كنتي تقوليلي إنك هتقلعيه.

–تعرفي إيه عني؟

قطع حديثنا رسالة من المدير المبجل بأن أذهب إلى مكتبه.

لا يهم ما يقول أو ماذا سيفعل. لأنني بالفعل قدمت استقالتي ووضعتها على مكتبي.. اليوم سوف أقابل "يحيى" مرةً أخرى.. اليوم سوف أعود إلى حياتي، إلى محيطي الذي أنشأته؛ لا ما فُرض عليّ أو ما أؤمر به.

تركتها تتحدث وأرسلت للمدير:

"أيها العجوز العفن؛؛ لم تغرني سلطاتك يومًا والمال الذي اكتسبته من الرشاوي. لم يهزني جماعك بجسدك النتن، ولا تعجبني رائحة عطرك المبتذلة. فقد كنتُ لك وعاءًا، وكنتَ لي ماكينة فلوس.. فليس من النساء فقط العاهرات؛ فالرجال أيضاً كذلك وأنت قوادهم.... اليوم لن تلمس رحيقي مرة أخرى، ومن اليوم إن صادفتك في طريقي سوف أجعل منك أضحوكة المجتمع البرجوازي التابع له،، وإياك من كيد المقهورات".

obeikandl.com

(مذكرة ٣)
"القاهرة ٢٠٠٠"

لم أكن أعرف أن المستقبل سوف يأتي بصديق بنفس الاسم "شريف" .. الصديق الذي افتقدته في الصغر وسيظل في قلبي إلى يوم مماتي. "شريف نشأت" الطالب ذو الثالثة عشر.. الطالب الأكثر تفوقًا في الفصل؛ بل في المدرسة جميعًا. الأول على إدارة المنطقه بأكملها.. كان يعاني من إعاقة خفيفة في رجله اليمنى. كانت أقصر بقليل من اليسرى.. يملك وجهًا ملائكيًا أشبه إلى أطفال متلازمة داون. الأول حتى في لعب الكرة. إعاقته هذه لا تمنعه أبدًا من التفوق بكل شيء.

كنت من المتأخرين دراسيًا في هذا العمر. وأجلس دائمًا في نصف الفصل المتأخر كما قسمنا مدرسونا سابقًا، والنصف المتفوق زرع بداخله أن نصفنا "البليد" لا يجب أن يتحدثوا معنا أو يبنوا صداقات بيننا. هذه العنصرية منذ الصغر أنشأت في النصف المتأخر كلَ الكره للنصف الآخر؛ ما عدا شريف..... كان يعاند المدرسين بأنه سوف يجلس في الصف الأخير في النصف المتأخر الذي كنت قائده!!

معللًا ذلك بأننا جميعًا متساوون. هذا الطفل دائمًا كان يعطي

للمدرسيين درسًا لا ينسونه. كان محببًا للجميع، فلا يستطيع أحدٌ منعه عما يريد لأنهم يعلمون جيدًا أن هذا الطفل الصغير ذا الأخلاق أفضلُ منهم كثيرًا. ذهبتُ له في ذات يومٍ وأخبرته أني أريد أن أصبح مثله، وأن أمي تقارنه دائمًا بي. أو جميع أمهات الطلاب تقارن أطفالها بالطفل المتفوق..... رد قائلًا:

-يجب أن أهتم بمذاكرتي كثيرًا.

أخبرته إذا اهتممت بالمذاكرة لا أجد وقتًا للعب والعكس! وأن اللعب أهم بكثير من المذاكرة بالنسبة لي.....

أخبرني أنه يلعب دائمًا ويذاكر دائمًا وأعطاني سرًا لم أستطع أن أفعل به حتى هذا اليوم؛ وهو: تنظيم الوقت!!

أخذني إلى بيته في إحدى المرات لنلعب على جهاز الفيديو جيم (الأتاري) حتى أنهكنا. مازلت أتذكر ضحكته وعينيه الجاحظتين من وجهه عندما يتغلب عليّ أيضاً في الفيديو جيم، وفرحته وهو يرقص.. انتهينا بعد فوزه وأردت الذهاب إلى البيت لأنام، فأخبرني أنه سوف يجلس ليكمل مذاكرته!

هذه القدرات الكبيرة في الجسد والعقل الصغير جعلته مميزًا عن أقرانه....

obeikandl.com

استيقظتُ مبكرًا ذاهبًا إلى امتحانات آخر السنة في الصف الرابع الابتدائي. عندما دخلت الفصل ولم أجده وهو دائمُ الحضور مبكرًا قبل الجميع. سألت أو سأل الجميع عنه، ليخبرونا بأنه بالأسفل لا يستطيع الصعود لإجرائه عملية في رجله اليمنى كي يصبح مثل أقرانه متساوي القدمين.... شريف أراد الكمال، ولكن الكمال لطفلٍ في هذا البلد لن يستطيع الوصول إليه. وصلت إرادته أن لا يتغيب على الامتحانات. وقد أدى امتحانه الأخير وهو مستلقٍ على ظهره!!

بعد ثلاثة أيام تُوفي بجرعة بنج زائدة خطئًا من الدكتور المعالج. ماتت الإرادة والقوة التي عرفتها يومًا. ويعلم الله أني لم أتأثر بموت أحدٍ في حياتي مثل شريف.

obeikandl.com

لم أكن أعلم أن المستقبل سوف يأتي بصديق
بنفس الإسم "شريف" الصديق الذي
إفتقدته في الصغر وسيظل في قلبي إلى يوم مماتي
" شريف نشأت " الطالب ذو الثالثة عشر)
الطالب الذكي تفوقاً في الفصل بل في المدرسة
جميعاً) الذي حاز على إدارة المنطقة بأكملها)
كان يعاني من إعاقة ضئيفة في رجله اليمنى)
كانت تُقصر تطويل من اليسرى) يملك وجه ملائكي
أشبه إلى حد ما بملائكة داون) الذي هي في لعب
الكرة) بإعاقته هذه لا تمنعه أبداً من التفوق
في كل شئ .
كنت من المتأخرين دراسياً في هذا العصر) أجلس
دائماً في نصف الفصل المتأخر كما قسمنا مدرسينا
سابقاً) والنصف المتفوق يذهب بداخله أن
نصفنا (البليد) لا يجب أن يتصدروا معنا أو
يشوا صداقات بيننا) هذه العنصرية منذ الصغر
أنشأت في النصف المتأخر كل الكره للنصف الآخر
ماعدا شريف ... كان يعاني المدرسين بأنه سوف
يجلس في الصف الأخير في النصف المتأخر) الذي
كنت قائده !
فعلل ذلك بأننا جميعاً متساوون) هذا الفعل

دائماً كان يعطي المدرسين درساً لا ينسوه
كان محبب للجميع فلا يستطيع أحد منعه عما يريد
لأنهم يعلمون جيداً أن هذا الطفل الصغير
ذو الأخلاق الفاضل مختلف كثيراً ، ذهبت له في
إحدى الأيام لأخبره إني أريد أن أصبح مثله
وكان أكثر ما تعارفنا دائما به أنه صديق أحمد الطالب
تعارفنا أطفالوا بالطفل المتفوق... رد قائلاً :
- يجب أن أحتم بهذه الكرتكل

أخبرته إذا إهتممت بالهذه المرة لا أجد وقت للعب
والملعب ، وبان اللعب أهم بكثير من الهذه المرة
بالنسبة لي ....
أخبرني أنه يلعب دائماً وبذالك دائماً ، ثم أعطاني
نصائح لم أستطع أن أفعل به حتى يومنا هذا
وهو : تنظيم الوقت
أخذني إلى بيته في إحدى الحيرات لنلعب على
ملعب الفيديو جيم (الأتاري) حتى أنهكنا
حاولت أن تتذكر ضحكته وعيناه الجاحظتان من
وجهه عندما يتغلب على أحد في الفيديو جيم
وقفزته وهو يرقص ، وانتهينا بعد فوزه
وأردت الذهاب إلى البيت لأنام ، فأخبرني أنه سوف
يجلس ليكمل هذه المرة .

هذه القدرات الكبيرة في الجسد والعقل الصغير
جعلته حصيناً عن أقرانه ...
استيقظت مبكراً ذاهباً إلى إختبارات آخر السنة
في الصف الرابع الإبتدائي ، وعندما دخلت الفصل
ولم أجده وهو داخ الحضور مبكراً قبل الجميع
لم أجده ، سألت و سأل الجميع عنه ليخبرونا
بأنه بالأسفل لا يستطيع الصعود إذ جراؤه عملية
في رجله اليمنى كي يصبح مثل أقرانه حتساوى القدمين
شريف ... أراد الكمال ، ولكن الكمال لطفل في هذا
البلد لن يستطيع الوصول إليه ، وصلت إرادته
أن لا يتغيب عن الإختبارات وإختبر وهو مستلقي
على ظهره !!
بعد ثلاثة أيام توفي بجرعة بنج زائدة من الدكتور
المعالج .
ماتت الإرادة والقوة التي عرفتها يوماً ، ويعلم الله
إني لم أتأثر بموت أحد في حياتي مثل شريف .

(مذكرة ٤)

القاهرة ٢٠١٣

تركتُ سيارتي وارتجلت حتى موقف رمسيس لألتقي ب "حرز" إلى أن وصلت إلى الموقف. لم أجد سوى الميكروباصات تحمل ركابها في سلام دون زعيق أو خناق. اتجهت إلى أحد السائقين سائلًا عن "حرز".

مجرد أن لفظت اسمه تغير وجه السائق:

-غار في داهية.

هذا الفتي الذي التقيت به في إحدى مواقف الطريق عندما أدخل رأسه من شباك سيارتي سائلًا إن كنتُ سأتأخر أم لا!! وعندما أخبرته بأنني سوف لا أتأخر قال لي:

-طب في عشرين جنيه أرضية.

قالها وتركني صارخًا:

-امسك ديك أهله.

جرى سريعًا نحو إحدى الميكروباصات وهشم له الزجاج الأمامي، ثم

obeikandl.com

هرع السائق تاركًا الركاب حتى أنه أسقط امرأة من باب الميكروباص.. قفلت باب سيارتي واتجهت نحوها مسرعًا كي أساعدها..... أوقفني "حرز" ممسكًا يدي بقوة قائلًا:

-اخلص هات العشين جنيه وساعدها..

نهرته وأبعدت يده.. نظر لي دون كلمةٍ واحدة. وذهب تجاه سيارتي وفي يده عصا واستعد أن يهشم المرآة الجانبية، فأسرعت إليه خانقًا رقبته ثم تركته مسرعًا خوفًا من رد فعله قائلًا:

- اصبر هدفعلك بس أنا هبلغ عنك.

ابتسم بثقة:

-اخلص بس... ادفع وبعدها روح بلغ.. أو خلص مشوارك ونروح سوا نبلغ عليا.

لم أجد سوى أن أعطيه العشرين جنيهًا تجنبًا أشكاله الضالة خوفًا على السيارة. ثم إنني تأخرت على كيارا! ما أن أتركها متأخرًا إلا أن تتحول وتنسب تأخري إلى عادات المجتمع الذي نشأت فيه. فهو مجتمع لا يتحمل المسئولية.. هذه الغبية كيف وصلت لهذا المنتج الذي يريد أن يراني اليوم.

ولكني أملك الحجة التي سأخفي وراءها تأخري الحقيقي. سوف أحكي عن هذا البلطجي وكيف أصررت بأن لا أدفع! نعم... يجب أن لا أظهر أمامها بالمستسلم؛ خصيصًا وهي متمسكة برأيها في الآونة الأخيرة بأنني أصبحت خائفًا من كل شيء..... حتى النجاح!!..

كيف تعرف ما بداخلي؟! ولكن اليوم سوف أهول لها الأحداث، وأوضح كيف أوسعته ضربًا حتى بعد أن جاءت الشرطة. ظلت تبعد بيني وبينه حتى لا أجعل منه جثةً هامدة. وأنها لم تفعل بي شيئًا لأنني ذو سلطة ..... أين هي السلطة؟؟!!

هذا الإحساس الذي بات يتملكني بعد الثورة... مخيف!! لا أحد اليوم يستطيع تجنب شرور السلطة!

obeikandl.com

القاهرة ٢٠١٣

تركت سيارتي واتجهت حتى موقف ميسيس الأقرب لـ " حرز " إلى أن وصلت إلى الموقف لم أجد سوى الميكروباصات تحمل ركابها في سلام دون زعيق أو ضناجات ، اتجهت إلى أحد السائقين سائلاً عن " حرز " مجرد أن لفظت بإسمه تغير وجه السائق :

- غار في داهيه

هذا الغتي الذي اتصيت به في إحدى حواف الطريق عندما أدخل رأسه من شباك سيارتي سائلاً إن كنت سأتأخر أم لا ، وعندما أخبرته بأنني لا أتأخر قال لي :

- طب في عشرين جنيه أرضية

قالها وتركني صارخاً :

- إمسك دين أهله

جري سريعاً نحو أحد الميكروباصات وهشم له الزجاج الأمامي ، ثم صرخ السائق تاركاً الركاب حتى وانه أسقط امرأة من باب الميكروباص ما فضلت باب سيارتي واتجهت نحوها مسرعاً كي أساعدها ... أو بمعنى " حرز " مساعداً يدي بقوة قائلاً :

- إطلع هات العشرين جنيه وساعدها .

obeikandi.com

نورته وابتسمت بده) نظرلي دون كلمة واحدة)
وذهب تجاه سيارتي وفي يده عصا واستعد ان
يهشم المرآة الجانبية فاسرعت اليه خائفاً وقبضت
ثم تركته مسرعاً خوفاً من رد فعله قائلاً:
- اصبر لحد فضلك بس ترنا نبلغ خلاص
ابتسم بثقة:
- يا خلص بس... وادفع وبعدها روح بلغ) دو خلص
مشوارك ونروح سوا نبلغ خليا.
لم اجد سوى ان اعطيه العشرون جنيهاً تجنباً لمشكلة
اضاعة الوقت على السيارة) ثم بانني تأخرت على كياما)
حاولت ان اتركها متأخراً الى ان تنسب تأخري بالى خارج
المجتمع الذي نشأت فيه) فهو مجتمع لا يتحمل المسئولية
هذه الفتيات كيف وصلت لهذا المنتج الذي يريد ان يراني
اليوم.
ولكني اعلم الحجة التي سأخبر وراءها تأخري الحقيقي)
سوف اخبرها عن هذا البلطجي وكيف اجبرني بان لا ادفع)
ثم... يجب ان لا اظهر اهانوا بالمستسلم ما
فعلته وهي مسكته بيدها في الدقيقة الأخيرة
بانني اجبرته خائفاً من كل شئ... حتى النجاح.
كيف تعرف ما بداخل؟) ولكن اليوم سوف اخبرها
لها الاحداث) واوضح كيف اوسعته ضرباً حتى

بغرزن جادت الشرطة ، ظلت تبعد بيني وبينه حتى لا أجعل منه جثة هامدة ، وأنا لم تفعل بي شيء لدنني ذو سلطة ..... أين هي السلطة ؟

هذا الإحساس الذي بات يتملكني بعد الثورة ...

مخيف .

لا أحد اليوم يستطيع تجنب شرور عائلة التسلط .

obeikandl.com

تجلس كيارا مع المنتج. يضع يده على كتفيها. هكذا ظهرت الرؤية أكثر، وبدون أن أجد ردًا على سؤالي كيف وصلت إليه! الأرجح هذه الجامحة بدون لجام تعرفت عليه في إحدى سهراتها أو أبحاثها. أغرته أو أغراها بماله.....

قطع أفكاري صوتها وهي تلفظ اسمي تاركةً المنتج متجهةً إلى "يحيى". أخذتني بين ذراعيها وقد استشفت ما يدور بعقلي، هامسةً في أذني:

–متحرش زي المصريين؛ بس ناخد اللي عايزينه منه.

ابتسمتُ لها وعرفت أنه لا يعجبها.. ارتاح قلبي ثم ذهبتُ لإلقاء التحية عليه. تبادلنا الكثير عن الفن، وعن رؤيتي وكيف يجب أن يحيا الفن مرةً أخرى بقوله للحق وألا يخشي الرقابة ونقل صورة المجتمع. وأن الفن ما هو إلا مرآة للمجتمع..... وهنا تغير مجرى الحوار حتى إنه قال لي:

–بص؛ لو عايز نشتغل مع بعض ابعد عن الكلام الكبير ده،، وركز شوية في صافيناز أو شوفلنا حتة حلوة نطلع بيها جديد في السوق.. ولو معكش الورق متشلش هم. الورق مرمي في درج مكتبي.

قبل أن أنطق بالرد الذي تعرفه كيارا جيدًا؛ قالت منقذةً الموقف:

–نكمل كلامنا بعدين.. علشان عايزة أنام.

obeikandl.com

قالتها وتبادلنا أرقام هواتفنا على أن أزوره في مكتبه.. أخذها بالحضن وسلم عليّ ثم استطرد قائلًا:

-ابقي تعالي معاه بقى هستناكي.

استفزني هذا المنتج الهائج على شهواته. ابتسمت كيارا وأخذت يدي مسرعةً باتجاه السيارة تجنبًا للمشادة بيني وبينه لأبيت في شقتها اليوم.. ما إن وصلنا إلى السيارة؛ رأيت "حرز" بجانبي..... من الجيد أن فاتني هذا الحديث عنه مع كيارا, كنت سأصبح أضحوكتها هذا المساء.. ظهر فجأة قائلًا لي:

-أنا مستنيك تبلغ عني..

ابتسمت له....

-لا خلاص الله الغني.

-متآخذنيش يا باشا.. مكنتش لسة اصطبحت ومزاجي كان زي الخرا!

-خلاص... خلاص حصل خير.

اسكت أيها الغبي! بجانبي ينبوع الفضول. سوف تسأل حتى تعرف كل التفاصيل التي أردت أن أخبئها بسببك. سوف أحكي الحقيقة وليس ما أردتُ أن أرى نفسي فيه.

-مش زعلان؟

obeikandl.com

قالها وهو يدس يده في جيبه مخرجًا عشرين جنيهًا ومدها لي.

–إيه ده؟

–خدها يا باشا علشان تعرف إنى مكنتش مركز والله.. وعايز أقولك إن اللي إنت عايز تروح تبلغ عندهم هما اللي بيقاسموني في رزقي، علشان كدة عليت الركنة على الزبون.

قالها... ولمعت عينا كيارا. وقبل أن تفتح معه الحوار قلت له:

–خلاص حلال عليك بس خليك فاكر العربية علشان باجي كتير.

تركته بعد أن مسح السيارة وجعلها كالجديدة. وبدأت الأسئلة كالسيل طول الطريق حتى وإننا عرايا تسأل!!

حتى غضبت:

–ايه.... في ايه؟!.... الموضوع شاغلك ليه؟... عيل عربجي مسرحينه مالك انتي؟! ماتركزي.

امتصت غضبي ناهيةً الحديث:

–عايزة أقعد معاه.. هيفيدني أوي في البحث. بعدين قولي هو في غيرة بين الصحاب؟

–ومين قالك إني بغير عليكي؟

–عينيك وسلامك، ولا أسلوبك اللي اتغير لما سلم عليا، ولما حضني.

–وليه شفتيها غيرة عليكي؟

–أمال على ايه؟

–على أنانيتي...

–نعم؟!

–أيوة أنانيتي مش سمحالي تكوني قاعدة معايا، وغيري يحضنك أو حتى يسلم! أو جايز ذكورتي المتعفنة ودي آثارها عليا!! أو يمكن أي شيء تاني غير إني أغير عليكي.

–وهو الواحد امتى المفروض يغير؟

–لما يحب...

–وأنا بغير عليك.

–وأنا بغير على نفسي.

ثم غبت عن الوعي.. فمارست كل أنواع السحر كي تغرقني بين جبال نهديها ووديان فرجها.

obeikandl.com

"يارا"

لماذا تأخر؟... فقد أصبحت الثامنة مساءً!! هذا الوغد المحبب إلى قلبي تأخر كما تأخر عني عامين.

منذ أن تركت المكتب واستقلت أنتظرك في قهوتنا المعتادة أكثر من خمس ساعات.... سأنتظر حتى يأتي.. فقد أكد لي أنه سيأتي ولكنه قال سنتقابل عند التاسعة.

لم يتأخر..... لم يتأخر فأنا المبكرة المتلهفة للقائه.

أحرق الكثير من السجائر.. دائمًا يقول بأنني سوف أموت يومًا احتراقًا من السجائر. أعدك عند لقائك سوف أتوقف عن تلك العادة بل العادات السيئة جميعًا. سوف أعود كما عدت مرةً أخرى "يحي" ... كيف لي أن أحيا بكل هذا المنطق في غيابك!! كم قتلنا بالمنطق روحًا كطفل يضحك للمارة دون أن ينتظر إقناع الكبير بأن كثرة الضحك تميت القلب!

معك لم يكن للمنطق وجود.. لماذا غبت بالمنطق؟ ولماذا بالمنطق تركتنا جميعًا؟!

معك كل العذر في غيابك حتى أن تبرره. ألم تدر كيف كانت أمك؟! إخوتك! أحبابك الكثر؟!

من أين أتى لك اليقين بأنك بمفردك لا أحد بجانبك؟ كيف تداركت خطورة الوطن فغبت بالمنطق؟

هذا العبث الواقعي هتك عرض الخيال.

obeikandl.com

(مذكرة ٥)

"القاهرة ٢٠١٦"

يبدو على الورقة حديثةً ليست كمثيلتها من الورق الذي كتب عليه المذكرات:

لم تعد لدي الرغبة في التعامل مع الناس وأصبحت بقصد أو بدون أخسر من حولي! أصبحت عدوانيًا بداخلي؛ ولكن بالخارج أحاول جاهدًا أن أكون ودودًا.. أحاول جاهدًا أن أخلق دائرة معارف جيدة وأفشل!! أحافظ على الدائرة الصغيرة التي اقتصرت عليها ولم أفلح، فقد تحملوني كثيرًا!

وأخيرًا بدأتُ في استقطاب الذكريات.. دونتها دون أن أدري لماذا!! فمن الجائز أنني أبحث في الماضي عن السبب الذي جعلني الآن هكذا؛ وحيدًا شاردًا. لم يعد لدي الرغبة في العيش ولا شيء يبهرني ولا أي شيء!!!

هل كثرة القراءة جعلتني لا أستطيع التعايش مع دائرتي؟!

إنه الاكتئاب ...لم أبالي... رفضت جميع الأدوية التي قدمت لي

obeikandl.com

وأصررت على أن أتعافى وأجاهد مرةً أخرى... لم أنجح واستسلمت.

حاولتُ مرارًا تذكر نقطة التحول التي جعلت مني هذا الشخص المكتئب الكئيب!! تذكرت نشأتي في الطفولة والصراع الذي دار بيني وبين أبي كي أحقق حلم طفولتي؛ وهو أن أصبح ممثلًا أو مخرجًا سينمائيًا. هذا الصراع الذي دام حتى الآن.

كنتُ دائمَ الظهور حتى أصبحت تدريجيًا نجمًا، ولكن مطفأ!! قيل لي ذات مرة أن هذا بسبب بعدي عن الصلاة والله. بعد أن كنتُ مصليًا كما كان يدعوني أبي ويتباهى وسط أصدقائه. وهنا قررت التقرب مرة أخرى بوعي ناضج وليس كطفل كان يفعل ما يؤمر به؛ وابتدأت رحلتي من الشك إلى الشك المستنير!!

ذهبت إلى أحد المعاهد الأزهرية لدراسة الفقه. هذا المكان المظلم استقبلني فيه أحد العاملين ويبدو على مظهره تعاليمُ المكان؛ ذقنٌ طويلٌ بدون شارب، جلبابٌ قصير بداخله بنطلون أقصر، شبشب جلد يبدو عليه الذوبان من كثرة الوضوء والماء.

-السلام عليكم..

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

-كنت عايز أقدم عندكم وخصوصًا الفقه ايه المطلوب؟

-بابتسامة صفراء: إنك تكون صالح.

-إن شاءالله.. قصدي على المصاريف والورق أنا مخلص إعلام.

-ياحول الله!!

-نعم!!!

-لا ولا حاجة ربنا يهدينا ويهديك!! المصاريف ٢٥٠٠ بالكتب، والدراسة ٣ أيام في الأسبوع وأرجو منك أنك تيجي بعد كدة بالجلباب كسنة حبيبك المصطفى.

-طب بص لو ده شيء لابد منه أنا بعتذر إن أنا جيت.

تغير صوته من شخص ودود مصطنع إلى الشخصية التي أحسستها من البداية!

-آاااه... شيء لابد منه؛ أول تعاليم الإسلام اتباع السنة.

-مع السلامة.

-اسمها السلام عليكم!!

تركته وأيقنت أن مثلَ هذه الأماكن لم ولن تكون وجهتي للتعرف على الله مرةً أخرى.. ذهبتُ إلى بلاد كثيرة كي أبحث عن ماهية الله،

obeikandl.com

فوجدت أن جميع الأديان تدعو إليه؛ كلًا بطريقته.. فالهندوسية بالتأمل وتقديس تلك الإلهه المجسدة لله.. والبوذية بالتعاليم التي توارثوها.. والمسيحية من الابن والروح القدس.. والإسلام كما هو عليه؛ لا أحد يعبد الأصنام في عالمنا. مثلهم جميعًا مثل الكعبة نقدسها ونقبلها ونقطع آلاف الأميال لنتبارك بها.. لم يكن الغرض عبادتها ولكنها وسيلة للتقرب إلى الله. هذا المفهوم الخاطئ والنظرة العامة على مختلف الأديان التي توارثناها رسخت بداخلنا الأفضلية والعنصرية!! فيعتبر الهندوس الإسلام ما هو إلا ديانة تابعة له فيصلون بانتظام ولكل وقت ترنيم أو موسيقى شبيهة للصلاة.. تيقنت أن الله يقبع في قلوبنا، لا يحتاج إلى وسيط أو ملة نتبعها.

خرجت لصديقي الذي ترك كلَ شيءٍ وتفرغ إلى العبادة وطريق الجهاد كما يدعي، وهو أيضاً الذي وجهني إلى هذا المعهد. كان" بكر" ضاحكًا محبًا للحياة.. تحول فجأة إلى شخص عابس دائمًا. لا يتواجد في الأماكن المختلطة. دائمًا ما يتحدث عن الجهاد ونشر الرسالة. وعندما ذهبتُ معه مرة أخرى إلى أحد شيوخه الذي بدوره أوضح لي أهمية السفر للخارج ولكن ليس من أجل العمل ولكن من أجل نشر الدعوة. وعرفت أن الكثيرَ من الشباب يغسل لهم أدمغتهم تحت راية الجهاد ونشر الدعوة. حتى يصبحوا تلقائيًا عنفوانين في رد

فعلهم، متصنعين الضحك دائمًا حتى تختلف عنهم. وأتذكر عندما رفع حواجبه مستغربًا راسمًا خطوطًا عريضة على جبهته، بؤبؤ عينه توسع قليلًا ليدخل كمية أكبر من الضوء. فتحات أنفه تتوسع بشكل ملحوظ لإدخال كميات أكبر من الأوكسجين. نبضات قلبه ارتفعت ومسام جلده اقشعرت.

ثم سأل وعلامات الانزعاج في صوته:

–انت عايز تقولي اننا اتطورنا من القرود؟!

–لا ياصديقي... نحن لم نتطور من القرود والعياذ بالله؛ بس احنا نوع من أنواع القردة.

(Apes)

القرود لما تنفعل تتوسع أيضاً فتحات أنوفهم لإدخال الأوكسجين أكثر، وبؤبو أعينهم يتسع لإدخال كمية ضوء أكبر. ونبضات قلبهم تتسارع وتتباطئ. وأيضاً يحركون حواجبهم كجزء من لغة تواصلهم الجسدية. القشعريرة تجعل وبرهم ينفش؛ لكن نحن تخلصنا من وبرنا فنقول (جسمنا قشعر).

–لا تخف من العلوم يا صديقي.. صحيح إنها تذكرنا بطبيعتنا الحيوانية لكن معرفة حقائق الأمور حتى وإن كانت قاسية يبقى أفضل

obeikandl.com

من العيش بوهم أننا كائنات لا حيوانية.. ماذا تعتقد؟!

نحن حيوانات من عائلة الثدييات من نوع القرود العليا.

هذه الفتره لم أرد التحدث عنها كثيرًا؛ فالجميع سيكفرني لمجرد السؤال.. فقد وُلدنا في بلاد تحرم الأسئلة وتجرمها. لا أريد أن أترك من المذكرات ما يؤخذ بمفهومه الخاطئ في نطاق الوعي الجمعي، فأنا أحاول جاهدًا ترك مذكرات ودودة. فتكفيني الوحدة في حياتي ولا أريدها بعد مماتي.

obeikandl.com

(مذكرة ٦)
"القاهرة ٢٠٠٧"

يفاجئني القدر أن أتعرف مرةً أخرى ب " شريف" ولكن في هيئة مختلفة بروح مختلفة، في زمان ومكان آخر (الجامعة) مثله في التفوق والسابقة. أصبحنا أصدقاء منذ لقائنا أول مرة. أنا بطريقتي المعتاد عليها.... متأخر دراسيًا، محبوب اجتماعيًا لكثرة الضحك والمعارف.

وهو بتفوقه وأخلاقه التي تعلمت منها الكثير. شريف الفتى المهووس بفن الإعلان أصبح بعد تخرجه مدمنًا بعد قتل أخيه بإحدى مظاهرات الثورة.

أنشأ حملة قوية لإسقاط الحكم بعد قتل أخيه. استخدم فيها كل فنونه للوصول إلى الناس. أكاد أجزم أنه أحد أعمدة إسقاط النظام بكمية الإعلانات المنظمة التي أصدرها..... حتى غاب فجأة!!!!!!!!!

وأصبح منطويًا عندما عادت الأمور كما هي قبل الثورة؛ لا شيئًا تغير بل ساء! كنا نحلم منذ الجامعة أن نفتتح شركتنا الخاصة، وأن يأخذني من حياتي المهرجلة لأنتظم وأرى مستقبلي بوضوح.

أين أنت الآن ياصديقي؟؟!! انطويت عاكفًا على المخدرات وتركتني أبحث عنك في وجوه المارة.

ما أكثر الذين يشبهونك؛ ولا تشبه أحدا!!

obeikandl.com

يما جنن القدر أن تتعرف مرة أخرى بـ "شريف"
ولكن في صيغة مختلفة بروح مختلفة في زمن ومكان
آخر (الجامعة) مثله في التفوق والسابقة)
أصبحنا أصدقاء منذ لقائنا الأول) أنا بطريقتي
المعتاد عليها... متأخر دراسياً) محبوب إجتماعياً
للثرة الضحك والظرف.
وهو بتفوقه وأخلاقه التي تعلمت منها الكثير)
شريف الفتى الموهوب يفتن الإخلان أصبح بعد
تخرجه دوماً) بعد قتل أخوه بإحدى مظاهرات
الثورة.
أنشأ صفحة قوية لإستقطاب المحلم بعد قتل أخوه
واستخدم فيها كل فنونه للوصول إلى الناس)
آكاد أن أجزم بأنه أحد أعمدة إسقاط النظام
بكمية الإخلانات المنظمة التي أصدرها... حتى غاب
وأصبح منطوي عندما عادت الأمور كما هي قبل
الثورة) لا شرر تغير بل سماء) كنا نحلم منذ
الجامعة أن نفتح شركتنا الخاصة) وأن يأتي
من حياتي المرحلة لا تنظم وأرى مستقبلي بوضوح.
أين أنت الآن يا صديقي... ~~[illegible]~~ وانطويت على
المخدرات وتركتني أبحث عنك في وجوه الصارة)
ما أكثر الذين يشبهونك)
ولا تشبه أحد

(مذكرة ٧)

"لا يوجد بها تاريخ أو مكان"

أشتاق للغرفة المحتضنة دفء عائلتي.. كنت أتأمل حتى الغوص في دخان سيجارة أبي. كم جميلة أشكال الدخان.. وما أبشع تلاشيها في سكون بلا صراخ!! ثم تأخذني يد جدتي التي خرجت من بئر الزمن بعد عراك، وما أن تروي لي حدوتتها الهزيلة والتي تنتهي كما أطلب أنا؛ ثم أخطو نحو الكرة. وما أكاد أن ألمسها حتى تفر مني هربًا. فآخذ أجري ... أجري... حتى تجدني جدتي وكأني أعود لجذوري الأولى، فأنا لستُ إلا قطرةً حملها الهواء خارج فلكها!!

يعتصر قلبي من الفراق الناتج عن الغربة. فأنا أصبحت غيري!! منذ أن كذبت على نفسي وأصبحت أدعي النجاح والضحك في غربتي اكتأبت حتى تكابرت على اكتئابي؛ فلم يسعه إلا أن يغمرني. لم أستطع الضحك منذ فترة! أسمع أغنية عن حب أفتقده. وعندما أبحث بداخلي أراها خالية! لم أحب يوما امرأة؛ و لكن أحبتني كل النساء اللاتي عاشرتهن. وجميعهن أردن أن أصبح ملكهم. ما أبشع المرأة في الامتلاك!!

الآن أكتب... فقط أكتب.. لا أريد أن أحدد الزمان ولا المكان، فكل ما بداخلي يأمرني بالبكاء أو الكتابة.. آاااه!! لماذا كل هذه العواصف بداخلي؟! لماذا يتخللني إحساسٌ بأن الحياة يجب أن تتوقف الآن؟! فقط سوف أكتب دون ترتيب سطوري الأخيرة، على أمل أن يقرأها أحدٌ بعدي.

أصبحت منذ شهر تقريبًا مدمنًا على السجائر. كنت دائمًا أنتقد أصدقائي المدخنين. عندما أحسست الوحدة مع السيجارة اكتشفت أنها الصديق المدمر. ازدادت شراهتي بالسجائر وأعجبت بصورتي وأنا أدخن والدموع تتساقط مني. وصورة أخرى وأنا أدخن وباليد الأخرى أحمل كأس الويسكي. صورتان تحملان التضاد؛ ولكني أحببتهم لي!! والحقيقة عندما فقدت خطاي كل الصور لم تفرق كثيرًا.. أصبحت باهت اللون والروح ولم يعد لي الرغبة في الحياة.

– عارفة:

كان دائمًا يأمرني أبي بأن أمثل هذا المقطع التمثيلي لإحدى الأفلام الأجنبية أمام أصدقائه أو أقاربنا. كنت أؤديه بمتعة كبيرة حتي إنني منذ الصغر أحببت الشهرة والتصفيق.. وظللت محتفظًا بهذا إلى أن بلغت سن الرشد. كنت أفعل كل ما يريده من حولي حتى أحظى باهتمامهم. أضحك كثيرًا لأنهم يحبون الضاحك.. أذاكر كثيرًا

لأنهم يتباهون بالناجح.. أمشي في طريقهم لأنهم يحترمون المطيع.. وعندما نضجت كفاية اكتشفت أن اسمي لم يكن باختياري ولا شكلي.. لوني.. ديني.. ولا حتى أصدقائي الذين كان يتم اختيارهم حسب رغبة أهلي أو المدرسين الأدرى بنفسنا نحن الصغار، فيفرقون بيننا حسب رؤيتهم.. وهنا تبدل الناس والمكان حتى أصبحت تدريجيًا أفقد الجميع.. عندما ذهبت في طريقي واخترت ما تبقى مني.....

-شكلك شربت كتير النهاردة... أنا مش فاهمة الكلام الكبير ده!!

نطقت "أولجا" فتاة مفقرة المفاتن تعرفت عليها خلال ترحالي لبلاد آسيا. تعمل كنادلة في أحد المطاعم في الشارع.. لا تعرف القراءة ولا الكتابة ولكنها تعرف العربية!! كانت تعمل لدى أحد المشايخ في الكويت، الذي ظل قرابة الخمسة أعوام يغتصبها تارةً وأخرى تعطيه ما يريد برضاها تجنبًا الضرب.. حتى سمح لها بالنزول مرة أخرى لبلادها ولم تعد مرةً ثانيةً للعمل لديه.

تجلس عاريةً بجانبي. وبيدي ورقة وقلم سارح بداخل رأسي التي أصبحتُ حبيسها.. أتحسس خصلات شعرها، وأشفقت عليها من جهلها وحاولت جاهدًا تبسيط ما بداخلي:

–طب عارفة الشاب اللي بينزل بدري ويلبس البدلة ينزل شغله، وأمه صاحية من النجمة فرحانة بابنها اللي لقى وظيفة كويسه اكمنه لبس بدلة؟

متعرفش أو تعرف إنه هيركب مواصلات وتتهان آدميته ومن بيته لبيته لما يرجع هيرسم عليها ضحكته، وهيرسم لنفسه طريق مختلف جوة بدلته.. هيرسم حلم ما طلهوش وأمل بعيد وضهر يحميه.. ويعمل نفسه عال بمقولة ارضى بأي حال.. محدش فكر ف يوم يبص في عينه ويقوله رغم ضحكتك اللي نص ضحكة إنت انسان مش نص انسان.

لم تنطق بكلمة واحدة وأمسكت بغلامي رافعةً إياه لأعلى، حتى جعلته يخرج ما بداخله.. هنا فقط استسلمت لرأسي بأن تهدأ وتعمقت في النوم....

openkandi.com

(مذكرة ٨)
"القاهرة ٢٠١٣"

لم أجد "حرز" في الموقف وقد عرفت أنه الآن في الحجز بسبب ضربه لأحد الزبائن في الموقف العام الذي استحوذ عليه.. لم أشأ زيارته، ولكني سوف أخبر كيارا عما حدث. فمنذ أن أخبرتها عنه جندتني كي أخبرها قصته.....

تلك القصة المثيره للجدل.. عندما أعطيته سيجارة حشيش وأصبح عبدًا لي بها.. حكى لي كيف نشأ في بيت به أختان. واحدة أكبر منه والأخرى أصغر.. وكيف كانت أمه تأتي بالرجال كي يختاروا بين الكبيرة أو الصغيرة كي يمارسوا الجنس في حجرته.. كانت تنهره أمه بأن يخرج من البيت كي يستمتع الزبون على حد قوله. هذه النشأة التي جعلته مدمنًا على جميع أنواع المخدرات. ورؤيته إلى جميع نساء الأرض بأنهن عاهرات.. يحمل معه نظرية شعبية:

-كل النسوان تجيبها الفلوس، وساعتها تعمل اللي عايزه.

من هذا المنطلق أصبح مختلسًا، إلى أن اكتشفه أحد الأمناء وجنده

لحسابه كي يحمي هذه القطعة من الشارع، وحولها بمجهوده وذراعه إلى جراج.. يأخذ الإتاوة من سائقي الميكروباصات كي يحملوا الركاب. وثمنًا لركنة السيارات الملاكي.

عرض عليّ ذات مرة إن نويت أن أجرب النوع البلدي من النساء أن أخبره.. وأنني سوف لا أندم؛ فالبلدي أفضل من الأجنبي، مما جعلني أوبخه.... كيف له أن يعمل قوادًا لأخواته!! فالمخدرات التي يتعاطاها جعلته لا يبالي بوجع سواء جسدي أو نفسي!

تذكرت.... لقد وصف لي منزله في إحدى المرات... ذهبت لهذا الحي الشعبي وسألت عن بيت "حرز".. دلتني إحدى السيدات التي تجلس أمام بيتها بان أذهب لآخر الحارة وأسأل عن "أم رشا".... ذهبت وسألت فخرجت لي من بلكونة الدور الأول امرأة بعباءة سوداء ملوحةً لي بيديها بأن أدخل من باب العمارة.....

مدخل العماره قديم ذو درجات مكسورة.. وصلت للدور الأول ثم فُتح الباب قبل أن أطرقه.. دخلت وقبل أن أنطق بكلمة رأيت فتاةً نحيفة ذات جسد متناسق.. لم أر مثل هذه العين الزرقاء من قبل، وجسدًا مخمل اللون ترتدي روبًا فقط..... جاء صوت أنثوي أجش:

-بتحب البدري انت ياباشا..

هذه الأم المهرتلة مثل أفلام الثمانينات مازال منها نسخة هنا.. أمامي!

هذه العباءة ورابطة الرأس تذكرني بأفلام نادية الجندي.... لم أرد عليها ثم استطردت قائلة:

–اقفلي الباب يابت قبل ما تقلعي..

قفلت الفتاة الباب وخلعت الروب عنها دون مشاعر، إلى أن أصبحت عاريةً تمامًا.... هذا الجسد كيف له أن يُنتهك!! كيف تملكين هذا الجمال السماوي وتهبينه للكل!! تلك المنحنيات الرشيقة.....

–لو مش عجباك استنى أندهلك على رشا.

قالتها قاطعةً نظري عن الجمال الذي لم أر مثيلًا له.. حتما رشا الأكبر..... أتت رشا عاريةً تمامًا. أواخر العشرين، شبيهة لأمها حتى في أسلوبها وحجمها السمين.. خرجت من الحجرة قائلة:

–عنيا ياما..

–أنا بسأل عن "حرز"..

تغيرت تعابير وجههم جميعًا.. ارتدت الصغيرة الروب وتركتنا إلى الحجرة.. أما رشا نطقت باستياء:

-انت عايز تصطبح ولا تتبسط؟!

ثم ذهبت هي الأخرى إلى الحجرة.. لم يعطوا لي الفرصة للحديث!

قالت الأم:

-روح هتلاقيه في أي خرابة بيشم أو بيحشش.. ومتجيش هنا تاني. مبقاش إلا الشمامين اللي يدخلوا البيت.

ثم فتحت باب الشقة ودون كلمة مني ذهبت..

تلك الأم العاهرة لا تدخل الشمامين بيتها ولكنها تدخل الرجال الذين يستبيحون بناتها!

ارتجف جسدي من هذا الموقف!! ورغم أن الشمس مازالت تحرق الشوارع، ولكني شعرت ببردٍ شديد.. جاء صوتٌ من خلفي:

-يا أستاذ....

التفتُ لأرى سارة الصغرى الجميلة خلفي.. توقفت ثم قالت:

-"حرز" محبوس.. وانت شكلك ابن ناس.... انت عايزه في ايه؟

نظرت لها والكثير بداخلي.

-لا.. كنت عايزه في شغل.

obeikandl.com

–وهو انت اللي هتشغله؟!

قالتها مستنكرة..

–المهم هو في قسم عابدين.. ومتآخذش أمي... المكان مكانك في أي وقت، بس ممكن متخليش "حرز" ييجي هنا علشان المشاكل.

–تيجي نقعد في حتة؟

قلت لها... ولا أعلم عن ماذا أتحدث، فقد نطقتها وأبغتني ردها:

–لا ياباشا احنا مبنروحش شقق حد.. لو عايز اطلع تاني.

–يا غبية مش عايز حاجة من اللي في دماغك..

–أمال عايز ايه؟!

–خلاص....

أعطيتها ظهري تاركها.. أوقفتني:

–طب بص... استناني على أول الشارع العمومي. معاك عربية؟

أشرت لها برأسي ثم سألتني عن لونها.. أجبتها وذهبت للسيارة أنتظرها.....

obeikandl.com

(مذكرة ٩)

"القاهرة ١٩٩٩"

حمامة بيضاء اللون... تحولت إلى امرأة جميلة، ترتدي حمالة صدر بيضاء يخرج منه نصف ثديها. يعتليه روب قصير شفاف.. تطوف حولي بجناحيها محلقه فوق السرير المستلقي عليه. لا ترتدي شيئًا من الأسفل. لم تتضح لي الصورة كاملةً، فلم أر مثل هذا من قبل.

هذا حلمي الأول الذي أصبحت به بالغًا. عندما احتلمت على هذه الحمامة البيضاء!

إلى أن أستيقظ لأجد شيئًا غريبًا بداخل ملابسي... إنه ليس بولًا!! شيءٌ لزج لا أعرف له اسمًا!!

ظننت أني مريض. هرعت إلى أمي أبلغها عما وجدته في سروالي..... باسمةً لي في خجل:

–معلش ياحبيبي انت كبرت.

لم أعرف معنى هذا، ولكن عرفت ذلك بعدها بيوم..... عندما أخبرتني أمي أن أذهب بالأسفل لجارتنا، لأبلغها أنها تريد مقابلتها.

obeikandl.com

أقف أمام باب الشقة... تفتح لي الباب جارتنا؛ التي تزوجت منذ عام لرجل سكري. يعود بعد منتصف الليل ليضربها وهو غائب عن الوعي. نسمع صراخها ويتجه إليها سكان العمارة حتى لا تُقتل بين يدي زوجها العائد يترنح.

فتحت الباب مرتدية قميص النوم الذي رأيته في حلمي لكن بلون أحمر. اختلاف بينهم في اللون فقط. فقد خال بي الأمر أنها الحمامة البيضاء التي أتت لي وجعلتني "أكبر" مثلما أخبرتني أمي.. أبلغتها أن أمي تريدها أن تصعد بالأعلى.. ردت قائلة:

-طب ادخل..

-لا... علشان ماما قالت لي اطلع بسرعة.

-انت كبرت خلاص... لسة بتخاف؟

-أنا مبخافش!

ثم فتحت الباب أكثر وأدخلتني إلى غرفة الجلوس.. جلست على الأريكة الحمراء القطيفة وهي بجانبي..

درجة لون الأريكة كانت ترتدي. لا يفصلهم إلا لونها الأبيض.. شتتُ نظري كي لا أحدق في مفاتنها، وحين نظرتُ لها رأيت عينًا

ثاقبةً تنظر إليّ مبتسمة:

–انت مكسوف؟

–لا....

–أمال مش بتبصلي ليه؟

–عادي..

انحنت قليلًا تجاهي ليتدلى هذا الشيء الذي بتُّ أشتهيه إلى أن كاد يفلت من حمالة الصدر، كثور هائج محكم الحبس بين حمالتين!!

لا أستطيع أن أبتعد بنظري عنها....

ولم أتذكر أي شئ سوى أن أنزل في سروالي ما أنزل أمس عند استيقاظي. ضاحكةً بصوت عالٍ ململمةً ثورها بداخل حمالتها، حابسة إياهم مرة أخرى... بعد أن كنت مثل الطفل الرضيع الذي يبكي أن ترك صدر أمه بات الخجل يتملكني:

–انت مش كبير؟

هززت رأسي بالإيجاب.

–يبقى اللي يحصل مع الكبار اللي زينا محدش يعرفه؛ ولا حتى ماما.

obeikandl.com

هززت رأسي مرة أخرى، وذهبت لأمي. وحين تعطيني الأمر مرةً أخرى أن أذهب إلى أي مكان كان ممري المؤدي إلى الخارج شقة جارتنا.. إلى أن غادرنا شقتنا بالمعادي لأمارس ما كنت أمارسه مع الحمامة البيضاء مع كل غربان الطريق، حتى أجد أول النساء في حياتي..

obeikandl.com

حمامة بيضاء اللون تحولت إلى امرأة جميلة ،
تشبه جارتنا بالأسفل ، ترتدي حمالة صدر بيضاء
تخرج نصف ثدييها منها ، فوقه ثوب قصير شفاف
وطويل يجنا حيها معلقة فوق السرير المستلقي
عليه ، لا ترتدي شيء من الأسفل ، لم تتضح لي الصورة
كاملة ، فلم أرى مثل هذا من قبل .
هذا حلم الأول الذي أصبحت به بالغ ، عندما
استطاعت على هذه الحمامة البيضاء !
إلى أن أستيقظ لأجد شيء غريب بداخل ملابسي !
إنه ليس بول ، شيء لم أعرف له اسم ،
ظننت أني مريض ، صرخت على أمي أن بللتها دماء وجرت
في سروالي ، ابتسمت لي عن خجل :
- لا تخافي يا حبيبتي وأنت كبرت
لم أعرف عن هذا ، ولكن عرفت ذلك بعدها بيوم
عندما طرقت أن أنزل بالأسفل إلى جارتنا لأنها
تريد مقابلتي .
وقفت أمام باب الشقة .. تفتح لي الباب جارتنا التي
تزوجت منذ عام لرجل عسكري ، يعود بعد منتصف
الليل ليضربها وهو غائب عن الوعي ، نسمع
صراخها ويتجه إليها سكان العمارة حتى لا تقتل
بين يد زوجها الخائن يترنح .

فتحت الباب مرتدية قميص النوم الذى رأيته فى حلمى
لكن باللون الأحمر فقط، اختلاف اللون، فقد قال
لى الأحمر يا نوا الحمامة البيضاء التى أتت لى
و جعلتنى (أكبر) مثلما أخبرتنى أمى، أبلغتها بأن
أمى تريدها أن تصعد بالأعلى ردت قائلة:
- طب ادخل
- لأ... علشان هاما قالت لى أطلع بسرعة
- إنت كبرت خلاص... لسه بتخاف؟
- أنا جعان فعش!
ثم فتحت الباب أكثر و أدخلتنى إلى غرفة الجلوس،
جلست على الأريكة الحمراء القطيفة، وهى بجانبى
درجة لون الأريكة كانت تريديه، لا يفصلهم إلا
لونها الأبيض، أشتت نظرى كى لا أحدق
فى مفاتنها، وحين نظرت لها... رأيت عينًا ثاقبة
تنظر إلى، مبتسمة:
- إنت مكسوف؟
- لأ...
- أمال مش بتبصلى ليه؟
- حاذى
و انحنت قليلاً بإتجاهى، ليتدلى ثديها إلى أن كاد
يخلت من هالة الصدر، كنور هاج محكم الحبس
بين هالتين!

لا أستطيع أن أشيح بنظري عنها ...
لم أتذكر أي شيء سوى أن انزل في سروالي
ما أنزل أحمس عند إستيقاظي، فأطلقة بصوت
عالي، فأطلقة ثورها بداخل حمالتها،
حابسة إياهم مرة أخرى ... بعد أن كنت مثل
الطفل الرضيع الذي يبكي إن ترك صدر أمه،
بان الخجل يتملكني:
- إنت مش كبير؟
هزيت رأسي بالإيجاب
- يبقى اللي يحصل مع الليلة اللي فاتت ما حدش
يعرفه، ولا حتى ماما.
هزيت رأسي مرة أخرى، وذهبت لأنام.
وحين دخلت أمي الأمر مرة أخرى أن أذهب
إلى أي مكان، كان الصمت المؤدي إلى الخارج،
شقة جارتنا.
إلى أن غادرنا شقتنا بالمعادي، أمارس حالتي
أمارسه مع الحمامة البيضاء مع كل غريبان الطريق،
حتى أجد أول الفساد في حياتي.

(مذكرة ١٠)
"القاهرة ٢٠٠٩"

بعدها بأكثر من عشرة أعوام أقابل "سهر".. فتاة لم تتخطي العشرين، بجسد امرأة في الثلاثين.

ذي مفاتن خلابة، وجسد أكبر بكثير من أقرانها.. جميلة نوعًا ما. شهوانية أكثر من اللازم..

تعرفت عليها في الجامعة. كنت بدأت علاقاتي النسائية ولكن بالحد المقبول لفتى مراهق، حتى وجدتني "سهر" وعرفتني أكثر ما هي الأنثى كما يجب أن تكون... أو بمعنى أدق كيف أتعامل مع النساء، وكيف لي أن أترك مرحلة البراءة لأتوغل أكثر في حياة النساء.. الفرق بين امرأة في العشرين وواحدة في آخر الثلاثين كالفرق بين الثمرة التي مازالت على الشجرة لم تنضج بعد، والثمرة بعد قطفها مكتملة النضج؛ لها طعمٌ ورائحةٌ ولونٌ معروف... وإن كنت لم تتذوق الثمرة الناضجة من قبل؛ فتكفيك حينها ثمرة الشجرة.

وإن تذوقت الناضجة؛ لن تعود ثانية للشجرة.. نعم هي فتاة العشرين؛

ولكنها أكبر من ذلك بكثير بكثرة تجاربها وعلاقاتها. حتى إني معها للمرة الأولى بعد عشرة أعوام أتذكر طفولتي مع الحمامة البيضاء.

كانت تعاني سهر كما قالت من مرض يُدعى

(nymphomania)

شراهة الاتصال الجنسي للمرأة.. لا تكفيها ممارسه شخص واحد!!

أخذتني في إحدى المرات للسهر في العين السخنة.. وكانت تمارس كل شيء من أجل رغبتها، دون أي احتياج للمال أو شيء ما..

لم أحب عبد الحليم يومًا، ولكني أتذكر تلك الاغنيه التي أرادت "سهر" أن تسمعها لي أثناء عودتنا من السخنة.. وبالطبع هي التي تقود السيارة؛ فأنا التابع حتى في قيادة السيارة:

-بتحب عبد الحليم؟

-لا..

-بتحبني؟

-معرفش!!

-أنا بقى شكلي هحبك.

obeikandl.com

-تفتكري؟

-أفتكر.

وفجأه توقفت السيارة بين جبلين ضخمين.. وبمنتهى الحرفية رأيت حمالة الصدر تخرج من تحت ملابسها دون أن تخلع عنها القميص التي كانت ترتديه.. فنظرت لها مستغربًا!! ردت استغرابي:

-أصلي لما بلبسها كتير بتوجعني، وهو شكله حلو أصلًا مش محتاجاهم.

-آه.. بس ازاي قلعتيه وانتي لابسة القميص؟

-ده اللي شاغلك؟!

يبدو أنني كنت في منتهى السذاجة!! ويبدو أنها أدركت أني لم أفهم ما تؤول إليه.. أشعلت زر الانتظار، وبخفة لم أدركها اندفعت بالكرسي إلى الخلف وأصبحت فوقي!! وتركتني أكتشف تلك الجبال المتنهدة ذات المنطقتين السوداوتين، وملمس الحرير وفي أذني فقط صوت حليم (مش يمكن ديه فرحة عمري، والفرحة ما صدقت لقيتها... كان فين اليوم ده غايب عني، تسلملي وتسلم ضحكتها.....).

obeikandl.com

ففي البداية تقتل البراءة دون أن نعلم لصغر السن والعقل.. والمحيط فقط هو من يعلم كيف يغتال براءتنا... وفي مرحلة متقدمة ندرك ما يفعله المحيط بنا وتأثير الأيام الملوث.. وهنا إما أن نحتفظ بما تبقى وإما أن نختار أن نكون الأسوأ.. انظر إلى إحدى الصور صغيرًا وقارنها الآن.. ولا تنس أن تتخيل المستقبل حسب ما اخترت!

obeikandl.com

بعضها بأكثر من عشرة أعوام أتعرف على "سوسو"
فتاة لم تتعدى العشرين ، بجسد امرأة في الثلاثين
ذات مفاتن خلابة ، وجسد كبير بكثير من أقرانها ،
جميلة فوضاوية ، شهوانية أكثر من اللازم ، تعرفت
عليها في الجامعة وكنت قد بدأت علاقاتي النسائية
وكان بالحد المقبول لفتى مراهق ، حتى أن وجدتني
"لسوسو" عرفتني أكثر على حاصر الأنثى كما يجب أن يكون ،
أو بمعنى أدق كيف أتعامل مع النساء ، وكيف لي
أن أترك مرحلة البراءة لأتوغل أكثر في حياة النساء ،
الفرق بين فتاة في العشرين وامرأة في أوج
الثلاثين ، كالفرق بين الثمرة التي حاولت على الشجرة
لم تنضج بعد ، والثمرة بعد قطفها مكتملة النضج ،
لها طعم ورائحة ولون مختلف ... وإن كنت لم أتذوق
الثمرة الناضجة من قبل فتلقيبك صنوها ثمرة الشجرة ،
وإن تذوقت الناضجة لن تعود مرة ثانية للشجرة ،
نعم -- هي فتاة العشرين ولكنها أكبر بكثير من ذلك
بكثير فجاربها وخلعاتها ، حتى وإنني معها للمرة الأولى
بعد عشرة أعوام أتذكر طفولتي مع الحمامة البيضاء ،
كانت تعاني "لسوسو" كما قالت من مرض يدعى

(Nymphomania)

تشرأب الإتصال الجنسي للمرأة ، لا تكتفيها
ممارسة شخص واحد ، أخذتني في أحدى المرات

لقضاء ليلة في العين السخنة .

لم أهب عبد الحليم بوحاً ، ولكني أتذكر تلك الأغنية التي أرادت "سهر" أن تسمعوها لي أثناء عودتنا من السخنة ، وبالطبع هي التي تقود السيارة ، فأنا التابع لها حتى في قيادة السيارة .

- بتحب عبد الحليم ؟
- لأ ...
- بتحبش ؟
- مش عارف
- أنا بقى شكلي هصبك
- تفتكري ؟
- أفتكر

وفجأة توقفت السيارة بين جبلين ضخام ، ولمحت الحرفية رأيت الحالة الصدر تخرج من تحت ملابسها دون أن تتابع عنها القميص الذي كانت ترتديه ، فنظرت لها مستغرباً ، ردت باستغراب :

- أصل أنا لما بلبسوا كتير بتوجعني ، وهو شكله حلو أصلاً مش محتاجوه .
- آه .. بس إزاي قاعدة وانتي لابسة القميص .
- ده اللي شاغلك ؟!

يبدو وأني كنت في منتهى السذاجة ، ويبدو
وانها أدركت إني لم أفهم ما تؤول إليه ،
أشعلت نار الإنتظار وبخفة لم أدركها انسحبت
بالكرسي إلى الخلف وأصبحت فوقي ، تركتني
أكتشف تلك الجبال المتشحة بلوعة ذات المنحدرين
السوداويين ، وحلمس الحرير وفي أذني فقط
(فاتت جنبنا)

○

فض البداية تقتل البراءة دون أن نكلم لصغر
السن أو العقل ... والمصيبة فقط هو الذي يدلم
كيف يختال ببرائتنا ، وفي مرحلة متقدمة ندرك
ما يفعله بنا وتأثير الأيام العلوش خلينا ، وهنا
إما أن نحتفظ بما تبقى وإما أن نختار أن نكون الأسود
... أن نظر إلى إحدى الصور صغيراً وقارنها الآن ،
ولا تنسى أن تتخيل المستقبل حسب ما إختبرت !

(مذكرة ١١)
"القاهرة ٢٠١٣"

-هتفضل قاعد كدة ساكت؟

قالتها سارة بعد أن جلسنا في إحدى المقاهي.

-هو انتي ليه بتعملي كدة؟

ضحكت بصوت مرتفع إلى أن لفتت انتباه الجميع حولنا.

-انت عايز ايه؟! والله شكلك دمك خفيف.

انتبهت أنها قالت شيئًا لا أريد سماعه، فعدلت عن كلامها ووجهت جسدها لي وهي تدخن الشيشة....

-بص يا ابن الناس؛ أنا مش عارفة لحد دلوقتي انت عايز ايه!! لو عايز واحدة تسليك شوف هتدفع كام وبلاش تيجي الشقة؛ ممكن نتقابل في العربية.... أريحك وأخلع، بس بلاش العطله ديه..

-انتي الموضوع سهل كدة بالنسبالك؟

obeikandi.com

– آه انت شيخ ولا حاجة؟ بس مش باين عليك يعني!

همت بالرحيل.. أمسكت يدها وأجلستها مرة أخرى.

–طب هتفق معاكي على حاجة.

–قول!!

–اعتبريني هشتريكي.....

لم أكمل كلامي مقاطعة:

–وأنا مش للبيع!!

–بقولك ايه سيبيني أكمل ومتمثليش؛ أمال اللي بتعمليه ده اسمه ايه؟!!

–اسمه بريح الزبون.

–اسمعيني... كل شهر هديكي فلوس.. وخلينا نتقابل ونقرب من بعض كأصدقاء.

–آااه.. تعبان نفسيًا وعايز تتكلم.. ماشي ... حسب الشهريه كام كده هكون لك ملاكي.

obeikandl.com

- حتفضل قاعد كده ساكت ؟

قالتلي ساره بغدق جلستنا في إحدى الخاص .

- صوابتي ليه بتتحلس كده ؟

ضحكت بصوت مرتفع إلى حد لفتت إنتباه الجميع حولنا

- إنت عاينر ايه ؟ والله شكلك دمك خفيف

لما نتبوت قولوا قالت شرع لا أريد سماعك ، فعدلك عن

كلامها ووجوت جسدها على وهي تدفن الشيشة .

- بص يا ابن الناس ، أنا حش خارجة لحد دلوقتي

إنت عاينر ايه ، لو عاينر واحدة تسليك شوف

حتدفع كام وبلاش تبس الشقة ما حدش

نتقابل في الحرية ... حضرتك وقاطع ، بس

بلاش الكوتة ديه .

- إنتي الموضوع سهل كده بالنسبالك ؟

- آه إنت شيخ ولا حاجة ؟ بس حش باين عليك

ثم وقفت عن جلستها وحضنت بالرحيل ، فمسكت يدها

وأجلستها مرة أخرى .

- طيب حتفق معاكي على حاجة

- قول ....

- إعتبريني حشتريكي ....

ثم أكمل كلامي مخاطبة إياه :

- وأنا مش للبيع
- بقولك إيه سيبني أكمل وبلاش تقيل ع أعمال اللي بتعمليه ده إسمه إيه ؟!!
- إسمه بريء الزبون.
- إسمعيني .. كل شهر هديكي فلوس وخلينا نتقابل ونتعرف على بعض.
- آه .. تعبان نفسياً وعاوز تتكلم .. ماشي.. حسب الشوربة كام ؟ كده هكون ملك خلاص

obeikandl.com

"يارا"

التاسعة ولم يأت!! هل مازال زعلان؟ ولكن لماذا راسلني؟

حذرني كثيرًا قبل غيابه أن هذا الوغد الذي يسمي نفسه فرحة العود تيمنًا للعبه على آلة العود؛ وهو حتى لا يستطيع قراءة النوتة بأنه فتى أصولي ذو اضطرابات نفسية! وأنا بريئة لم أتخط بعد المنصورة ومجتمعها المغلق!! فقد كان هذا العود أيضاً من المحلة ولكنه منفتح كثيرًا.. جاء إلى القاهرى بعتمة القرى لينطلق بدون اتزان.. كنت دائمة القول بأنه لا يستطيع التلاعب بي؛ فأنا أذيبه بين يدي.. كان يبكي العود لي كثيرًا حتى تعلقت به.. تركت شقتي في المنصورة وذهبت للعيش معه في شقة القاهرة.. استحوذ عليّ وجعلني أرتدي أفضل ثيابي..... هذا الإحساس الذي لم أصل إليه إلا معه! جعلني أحبه..... حتى أني أعطيته كلبة "يحيى" هدية؛ مما جعله يزعل كثيرًا مني.. فهل لهذا السبب لم يأت؟؟!!

obeikandl.com

(مذكرة ١٢)
"القاهرة ١٩٩٨"

التوفيقية... كانت نشأة أبي في قلب القاهرة وسط تجار قطع غيار السيارات، إلى أن أصبح واحدًا منهم بعد أن كان يعمل مع أحد التجار الألمان اليهود الذين كانوا يقيمون بمصر قديمًا. وعندما غادروا القاهرة مقهورين بعد ثورة ١٩٥٢ تاركين أملاكهم؛ أصبح جزءٌ منها لأبي، والذي بدوره أصر أن يصطحبني معه حتى أتشبع منذ الصغر (بالسوق) وأصبح مثله ذات يوم تاجرًا له شنة ورنة.

كان شريف دائمًا يضحك قائلًا:

-انت شبه عبد الغفور البرعي وابنه.

الحقيقه لم يخطئ!! فقد عشت حياتي هاربًا من عباءة أبي وتجارته. وفي إحدى الأيام المشمسة اصطحبني أبي مكافئًا لي بعد أن انتظمت في العمل معه. ولم أكمل الخامسة عشر حينها! أخذني من يدي إلى المحل الذي بجانبه وكنت دائم القول بأني أريد "عجلة" كبقية أصدقائي.. أتذكر تلك الفرحة العارمة عندما ركبت عليها وأنا

لا أعرف كيف أقودها!! كنت أملك العالم بأكمله عندما أخذت دراجتي ذات المساعدين الجانبيين وطفت بها كل أركان التوفيقية.. أصرخ وأنا أجري.. أضحك بدون سبب.... وحين تمنعت عن نزولي مرة أخرى إلى العمل مع أبي هددني أنه سوف يرجع الدراجة.. واستيقظ ذات يوم ليأمرني بأن آخذ "أنبوب البوتاجاز" على الدراجة وأذهب لأغيرها.. كنا نسكن الدور الخامس.....

حملت "الأنبوبة" الفارغة خمسة أدوار متحديًا أبي أني سوف أجد مهمة لدراجتي، وأنه يوجد لها فائدة غير اللعب عكس ما يرى....

حتى أن وصلت إلى الدرج الأخير وانتابني شعور بالكره.. لا أعرف حينها لمن!! ولكني أتذكر حرقة قلبي وألم جسدي وظهري...

تريثت ثم هممت أن أحملها على دراجتي، وكانت هذه معاناة مساوية لنزولي الخمسة أدوار بها! حتى إن أحد المارة قال لي مستنكرًا:

-ايه يابني اللي بتعمله ده!!!

وهم بمساعدتي... ثم عدت رافعًا رأسي، متحديًا الجميع معلنًا انتصاري. ولكن.... لم يلبث هذا الانتصار إلا أن تحول إلى كارثة؛ فعند صعودي درجات الأدوار الخمس انزلقت الأنبوب، وكادت أن تنفجر....

أوسعت حينها ضربًا شنيعًا على فعلٍ لم أقدر عليه ولم يستوعبه جسدي الهش. حتى إن جميع جيراننا عطفوا عليّ..

ومنذ تلك اللحظة لم أر دراجتي مرة أخرى!! ولم أقد واحدة أخرى حتى الآن...

فقد أتت الدراجة لرغبة منه، وأخذها لخطأ أيضاً منه!

علمت أنه لا هدايا تُهدى إلا لسبب وراءها؛ حتى وإن كان الأقرب إليك....

obeikandl.com

التوفيقية ... كانت نشأت أبي في قلب القاهرة وسط تجار قطع غيار السيارات ، إلى أن أصبح واحداً منهم بعد أن كان يعمل لدى أحد التجار الألمان اليهود الذين كانوا يقيمون بمصر قديماً وعندما غادروا القاهرة مقهورين بعد ثورة ١٩٥٢ تاركين أملاكهم ... التي أصبحت جزءاً منها لأبي الذي بدوره أصر أن يعطيني درسه حتى أتشبع منه الصغير (بالسوق) وأصبح حلمه ذات يوم تاجراً له بشنه ورنه .

كان شريف دائماً يضحك قائلاً :

- إنت تشبه عبد الغفور البرعي وعايزه الحقيقة لم يخطئ فقد عشت حياتي هارباً من عبادة أبي وتجارته ، وفي أحدى الأيام المشمسة اصطدمني أبي فجأة لي بعد أن انتظمت في العمل معه لم أكمل الخامسة عشر يوماً ، أخذني من يده وإلى المحل الذي بجانبه وقال دائماً القول بإني أريد (حجلة) لبيعة أصدقائي ، أتذكر تلك الغرفة الخارجة عندما ركبت عليها وأنا لا أعرف كيف أقودها) ملكت العالم بأكمله عندما أخذت دراجتي ذات المساعدين الجانبيين وطوفت بها كل أركان التوفيقية ، أصرخ وأنا أجري ، أضحك بدون سبب ...

وحين تضعت عن نزولي مرة أخرى إلى الحمل مع
أبي) صدني أنه سوف يربح الدراجة)
واستيقظت ذات يوم ليأمرني بأن أخذ "أنبوب البوتاجاز"
على الدراجة وأذهب لأغيرها) كنا نسكن الدور الخامس
حملة (الأنبوبة) الفارغة خمس أدوار متحدياً أني
إني سوف أجد متعة لدراجتي) وأنه يوجد لها فائدة
غير اللعب كلس ما يرى ...
حتى إن وصلت إلى الدرج الأخير وأنا بين شعور
بالكره) لا أعرف حينها لمن) ولكني أتذكر خرقة
قلبي وألم جسدي وظهري ...
تريثت ثم حملتها على دراجتي) وكانت هذه المهمة
صعبة لنزولي الخمسة أدوار بها) حتى أن أحد
المارة قال لي مستنكراً :
- إيه يا بني اللي بتعمله ده ...
وهم بمساعدتي --- ثم حدث ارتجاج رأسي) متحدياً
الجميع معلناً انتصاري) ولكن ... لم يلبث هذا
الانتصار إلى أن تحول إلى كارثة) وعند الصعود
لدرجات الأدوار الخمس، انزلقت الأنبوبة) وكادت
أن تنفجر ...
أوسعت حينها ضرباً شنيعاً على فعل لم أقدر عليه
ولم يستوعبه جسدي الهش حتى دار جميع الجيران
حولي)

ومنذ تلك اللحظة لم أرى دراجتي حمراء (أو أي لون آخر) ولم أعد واحدة أخرى حتى الآن...
فقد زرت كل الدراجة منهم وأخذها لنفسها أيضاً منهم!
علمت أن لا هدايا تهدى إلا لسبب وراثي
حتى حان الوقت إلى...

obeikandl.com

(مذكرة ١٣)
"القاهرة ٢٠١٤"

بعد أن عرفت "رشا" الأخت الكبرى لسارة، والقدوة لها في نظر رشا –وإن كان لا تقتنع بذلك سارة– عرفت بعلاقتنا أو تشككت، وأرادت أن تعرف كل شيء؛ فلم تجد إلا طريقة واحدة بعد أن فشلت في تهديد وتوبيخ سارة بأن تعود للعمل.. فأخذتنا إلى إحدى الكباريهات في المهندسين التي تعمل بها وتسميها "ورشة".. تذهب لهذا الكباريه في الأيام اللي "الشغل فيها مريح والرجالة نايمة" كما قالت.. أخذتني بأن تجعلني أقضي يومًا على مزاجها. مكان مظلم به إضاءة خافتة مختلفة الألوان.. يجلس على الترابيزات بعض المشاهير، وأمامهم زجاجات الويسكي.. تخدم كل طاولة امرأة؛ منهم صغير السن ومنهم من عفى عليه الزمن.. وجميعهم يعرضون تسعيرة وضع الويسكي أو البيرة في الكوب طوال اليوم خمسين جنيهًا. ترى جزءًا من صدرها مائة جنيهًا. أو إن كنت "شرقان" كما عرفتني رشا وتريد أن تفرغ ما بداخلك "على الواقف" تصطحبك التي تختارها إلى أعلى، وهناك رأيت مجموعة رجال مصطفة خالعين عنهم بنطالهم..

وتحت كل منهم واحدة تؤدي واجبها على أكمل وجه، إلى أن يستريح الزبون!

وأول الدور العلوي رجل أقرع يرتدي بدلة منمقة.. وعندما سألت عرفت أنه يراقب البنات وهم يقومون بواجبهم! حتى لا تتفق إحداهم مع الزبون أن تلتقي به خارجًا.. تعجبت وقبل سؤالي قالت لي رشا:

-علشان الزبون رجله متخفش على المكان.. فتفضل الأفيونة بتاعته هنا والمكان يفضل شغال.

هذا العالم المليء بالقاذورات مصرح به، ويزوره كبارٌ من الدولة سواء سياسيًا أو تعليميًا أو فنيًا!! هذا العالم الذي لم يبال لأي أحداث بالخارج وكأنه لا يسمع عن شيء مما يحدث!! التقيت هناك بالزميلة المقربة لرشا، وجلست على الطاولة التي أجلس بها.. واتفقنا أن تنهي يومها ونذهب سويًا إلى بيتي؛ دون أن تعلم رشا أو سارة.

ولكن قبل أن نذهب وقد بدأت رأسي تصدر تلك الذبذبات عندما يتملك منها الخمر، وبدأت أن أتحدث بصدق:

-انتي عارفة.. أنا كان نفسي أطلع الواد السكير، والبهيمي، واللي من غير ضمير.

-وايه اللي مانعك؟

–ظروفي!!

–طب نصيحة من واحدة حكت فيها الدنيا لحد ما أديتها ضهري وخليتها تلعب فيه وأنا مستريحة وضميري ميت.... أوعى تقول ظروف ولا ناس ولا أصلي.. كون اللي نفسك فيه حتى لو غلط، بدل ما يبقي أمر واقع أوحش مما تتخيل، وساعتها هتسيب نفسك وتبقي زيي. –وانتي ايه؟

ضحكت بصوت مرتفع وقالت:

–شريفة يا حبيبي.

هذا الحوار جعل ذبذبات عقلي تتوقف!! هل أنا الآن في مرحلة أنني أفعل ما فرضه الواقع، أم مازلت أملك الفرصة محاولًا أن أقنع نفسي أني أفعل ما أريد.. تركتهم ذاهبًا متخليًا عن ليلتي اليوم وعري آخر لا يضيف إلا ثقلًا لروحي وقلبي.

قرأت بحثًا نفسيًا.. كان يتحدث عن كون الإنسان واعيًا بالفعل عما يسميه وعيه وإدراكه، وهل هو بالفعل دائمًا على صواب في حالة أن حكم عقله؟

فمثلًا: تلك الشجرة التي نراها في الشارع هل هي بالفعل شجرة... أم جهلنا بها أعطيناها الاسم والشكل، وأطلقنا عليها صفاتها.... الوعي في حد ذاته جهل!!

(مذكرة ١٤)

"القاهرة ٢٠١٤"

دهب..... أرض السحر التي يستوجب كي تذهب إليها أن تمر على عشرين كمينًا أو أكثر!! في كل كمين تفتش؛ إلا إذا كنت بصحبة أحد الاجانب، فلهم طريقٌ خاصٌ غير المصريين.. طريق مؤمن كما أخبرني الضابط عندما أرجعني من طريق المصريين، موضحًا بأن الأجانب لهم طريق آخر.. وعندما سألته:

-والمصريين مش متأمنين؟

ابتسم قائلًا:

-لو مت مش هيحصل حاجة؛ لكن لو أجنبي جراله حاجة هتبقى مشكلة والدنيا تتقلب.

صدمت من نبرته التي يتحدث بها!! هل يعلم مردود ما يقوله بداخلي كمصري أم لا؟!

أرغمتني كيارا أن أزور دهب وهي مندهشة كيف لم أزرها من قبل وهي بدون فيزا!! وأنا أتطلع دائمًا للذهاب إلى أوروبا. فدهب

obeikandl.com

أفضل بكثير من كل البلاد التي مرت عليها كيارا كما أخبرتني.. هناك تعرفت على إحدى الفتيات الأجانبيات المقيميات بمصر تُدعى "فاطمة".. فتاة تتحدث العربية بل المصرية بطلاقة..

ذات ملامح شرقية بحتة. وعندما سألت عن هذا الاسم الغريب لفتاة سويدية لا تملك سوى الجنسية السويدية عرفت أنها من أصول عراقية.. وطوال حياتها تعيش في مصر، تعلمت في مدارسها وجامعاتها.. وأنها لا تحب أن تتركها؛ فهي بلادها ويوجد هنا جميع أصدقائها. وعندما تذهب إلى السويد تشعر بالغربة!

فتاة باهته اللون تعاني من قلة المال.. تملك الجنسيه السويدية، كيف لها أن تعيش هنا وسط الخراب؟!

لم أجد ردًا على سؤالي، ولكن الفكرة لمعت في ذهني عندما بادرني إحساس الهجرة إلى السويد بعد أن أتزوجها...

لم تلبث تلك الفتاة خمسة أيام وأرسلت لي صورها عارية.... معلنةً الموافقة لعلاقة بيننا.. تماديت مثلما أتمادى في علاقاتي؛ ولكن هذه العلاقة لها هدفٌ سام وهو: الهروب خارج الوطن.

عرضت سابقًا على كيارا هذا النوع من العلاقة. رفضت ذلك بأنها لا تريد الزواج، ونحن أفضل هكذا.

ولكن "فاطمة" وافقت... في بادئ الأمر أغميت عيني على أنها حاملة الباسبور السويدي فقط، ولكنها تشبعت بكل عادات وتقاليد وعفن المجتمع الشرقي الذي عاشت فيه.. فمثلها مثل معظم النساء هنا؛ تعرف الغيرة، أو تصطنعها. وتعرف معنى أنها ليست عذراء، فذهبت لترقع الجزء الأسفل!

كم بشاعة اللفظ!! كأنك تتحدث عن ثوب قطع ولفقرك ترقعه!

أخبرتني كيارا بذلك بعد زواجنا.. ذهبت فاطمة إلى السويد لترتيب أوراقها لتصطحبني إلى هناك. وذهبت أنا لأوثق أوراق الزواج بالسفارة السويدية بمصر إلى أن وجدت إحدى صديقات كيارا تعمل هناك.. كنت قد التقيت بها في إحدى حفلات كيارا التي تقيمها في منزلها.. ابتسمت لي وأخبرتني بالعربية:

إن كنت أتزوج فاطمة عن حب أو مثل باقي شباب الوطن؛؛ كي يسافروا فقط؟

أخبرتها بكل تأكيد أني أحبها.. ابتسمت مرة أخرى وقالت:

-فقط أخبرني الحقيقة.. فإن كنت تريد السفر، فأنت لا تستطيع فعل ذلك معها!!

-لماذا؟!

obeikandl.com

قلتها باندهاش!! أشارت إليّ أن أترك الشباك الزجاجي الذي تحدثني من خلاله، وأن أدخل لها من باب جانبي إلى المكتب..... وهناك أخبرتني أن فاطمة من أصول عراقية.. أعرف ذلك سابقًا... أخبرتها...

أكملت بأن والدها هرب من الجيش العراقي محكومًا عليه بالإعدام لهروبه من الجيش أثناء الحرب مهاجرًا إلى السويد.. إلى أن أتى بكل عائلته هناك. وأنه هارب الآن إلى العراق مرة أخرى بعد موت صدام تاركًا السويد!

لأنه أكبر مزور عرفته السويد لجوازات السفر!

وأن فاطمة بالفعل تحمل الجنسية السويدية، ولكن عليها ديون للدولة نتيجة أن السويد تمنحها الكثير من المال مقابل الدراسة، وقد أخذتها فاطمة مبلغةً أنها سوف تدرس بمصر حتى الماجستير.. وعندما عرفت السفارة عرضت عليها أن تدرس في إحدى الجامعات السويدية فهي بالتأكيد أفضل من مصر؛؛ ولكنها أصرت على الدراسة في أرض الكنانة... ولكنها لم تكمل حتى البكالوريوس، وقد أخذت ما يعادل الثلاثة مليون جنيهًا مصريًا كي تدرس في إحدى الجامعات الخاصة المصرية، متكفلين المعيشة والسكن خلال الستة أعوام الماضية. وأن النظام في السويد له الحق بأن يسترد أمواله ما لم تقوم بالمهمة التي

من أجلها أخذت من مال الدولة، غير أنها لا تدفع الضرائب.. فنسبة أن أذهب إلى السويد بصحبتها شبه مستحيلة، لأن القانون هناك لا يعطيها حقوقها كاملةً إلا بعد أن تبدأ تنتظم في سد ديونها.... وقتها فقط عرفت سر حبها للعفن؛ فبالمال الذي تأخذه من هناك تعيش هنا برخص الجنيه!

فلماذا ترهق نفسها بالعيش في السويد!! وهنا تعيش ببسبورها أفضل من المواطن نفسه، أفضل من أن تعيش في بلادها.. وما أنا إلا وسيلة كانت تريد أن تأخذ الإقامه منها!

طلقت فاطمة بعد ثمانية وعشرين يومًا فقط زواج عندما زال سبب اقتراني بها... مخبرًا كيارا بما حدث.... ضاحكة بأني سوف أذهب لنساء العالم وسوف أعود مرةً أخرى لها!

obeikandi.com

"يارا"

أعتقد أنه تأخر كي يرى أمه وإخوته، فهو بمثابة الأب لهم..

العاشرة مساءً أتى..... أخذني بين أحضانه أكثر من الربع ساعة دون كلمةٍ منه أو مني.. لم يعد حضنه دافئًا كما كان، ولكن به أمان الدنيا؛؛ خلاصٌ لوحشتي ووحدتي.

–لماذا تأخرت؟

لم يرد ولم أرد الرد.. المهم أنه أتى..... لم يحك لي أين غاب؛ ولكني أخبرته بجزء عما حدث في غيابه وأهمها حملي وتسقيطي للطفل، وبعدها خلعي للحجاب بعد ارتدائه..

– بردة هتقلعي الحجاب؟

قالتها أختي الأكبر بنبرة ترجي وكأن أبي سوف يعنفها هي ولست أنا!! بعد أن احتد الخلاف بيننا؛؛ فقد رآني أحد أقاربنا في القاهره بدون حجاب.. وعندما أبلغ أبي الذي فارقته وفارقت عائلتي منذ أن كنت ابنة الثامنة عشر لأترك بورسعيد وأذهب إلى الجامعة بالقاهرة

obeikandi.com

وأسكن بمفردي.. فجأة تذكر أن له ابنة سوف تلطخ سمعته بخلع حجابها!! وترك عمله ليأتي إليّ اليوم بعد أن ارسل أختي بالتهديد بأنه سوف يقطع عني كل سبل العيش بمفردي.

دق جرس الباب.. أدمعت عين أختي، أصابتها تلك الرعشة عندما تقف أمام كلب مسعور سوف ينقض عليك.. لم تعرف ماذا تفعل؟!! فقط تقف مكانك بلا حراك وكل ما بداخلك يريد المغادرة.

ابتسمت لها لأهون عليها، فلا يعلم إحساس المرأة إلا من كانت مثلها.. ونظرت على جمال شعري الأسود في المرآة وأرجعت خصلتي الأمامية للخلف حتى تتثنى لي الرؤية الواضحة، ثم فتحت الباب....

طال الانتظار عند عتبة الباب... أصبحت عيني لأول مرة في عين أبي.... ولكن عيني مبتسمة وعينه جاحدة!! عيني فيها اشتياقٌ لحضنه وعينه جاحدة!! عيني تستعيد ذكريات طفولتي بين يده وعينه جاحدة!!

-حجابك فين؟

-في درج التسريحة.

-ادخلي البسيه.

–حاضر؛؛ وبعد ما تمشي هقلعه.....

صفعني على وجهي حتي أُغشي عليّ، ولم أفق إلا بعد صراخ أختي وهي تبعده كي يترك تلك الطرحة وهو يلفها حول عنقي ويقول:

–مش أحسن ما الناس تاكل وشي.

دفعته بشدة بعد أن اشتد اختناقي وكادت تفارقني الحياة... الحياة التي أحببتها بالبعد عنهم!!

يقف بذهول... وكأنه يقول بداخله باستغراب: ابنتي الصغيره تدفعني.. رافضة أن أدق عنقها بالطرحة!!

وما الذي سيدور برأسه غير ذلك؟!! لا يهم ما يفكر به.. تتسع عينه وهوان انتصاب جسده، وأمامه أسدلت علي وجهي خصلات شعري الكثيفة جعلت مني شبحًا يخيف في الظلام.

فلم يتخذ خطوة إلى الأمام فقد استشعر بداخله أني سوف أدافع عن وجهي ونفسي بكل ما أوتيت من قوة.. وجه كلامه لأختي....

–البت دي تسيب الشقة وتشوفلها أي مكان تاني.. يا إما ترجع بورسعيد ومفيش تعليم ولا....

لم يكمل كلامه فقد تركت ما يقوله وخرجت من باب المنزل.. اتجهت نحو السلالم المؤدية إلى باب العمارة لأجد أخت أبي المنتقبة روحًا

obeikandl.com

وجسدًا وشكلًا تنتظر عند الباب....

–انتي ازاي نازلة بشعرك كدة؟

–انتي مالك؟

–أبوكي مرضيش يخليني أطلع معاه علشان هجيبك من شعرك.

–وأنا هسكتلك؟!!

–اطلعي ولمي نفسك بلاش فضايح....

–بقولك ايه!! فاكرة لما خدتيني بالعافية للجامع والشيخ قال عن الشافعي بصوت وحش (ضحكت فقالوا ألا تحتشم! بكيت فقالوا ألا تبتسم! بسمت فقالوا يرائي بها.. عبثت فقالوا بدا ما كتم.....)

أنا بقى بسمعها كده وده الفرق بيني وبينكم.. وغنتها وصوت "عبد الرحمن الحتو" في ودني وهو يغنيها بصوته الجميل (أيقنت أني.... أيقنت أني مهما أردت رضا الناس لابد من أي ذنب.. فيارب عفوك.. سأبقى مخلصًا ما حييت.....)

ثم دفعتها بقوة بعد أن أخذت بين يديها خصلات من شعري شادةً إياه..

وذهبت وفي القلب غصة.....

obeikandl.com

(مذكرة ١٥)

"القاهرة ٢٠٠٢"

يملأ الشجر سور المدرسة الخارجي.. كان الخريف قد بدأ وبدأت أوراق الشجر في السقوط واحدة تلو الأخرى.. هذا المشهد الذي دومًا ما أحببته.. كانت إشارةً بحياةٍ جديدةٍ يسقط فيها القديم ويحيا كل ما هو جديد، بعد زوبعة الاضطراب النفسي الذي مررت به عندما فارقت أصدقائي.. وصلت إليها مع أبي كي ألتحق بمدرستي الجديدة.. عندما ضاق به الحال وتركنا شقتنا بالمعادي لننتقل إلى إحدى المناطق الأقل قامةً ومحيطًا.....

استقبلنا مدير وصاحب المدرسة لمعرفته الشخصية بأبي.. وأول ما قاله بعد أن رأى درجاتي التي تخطت النصف رأفةً من المدرسين:

-هنا مدرسة المتفوقين بس وشعارنا: "مستقبل الصفوة".

هذا الشعار الذي قابلته مرة أخرى بعد سبعة أعوام في الجامعة، والشيء المشترك بينهم أنها مجرد وسيلة لكسب المال فقط.

ولا يوجد بهم إلا القليل من المتفوقين... والحقيقة أنهم يقبلون أي فرد

obeikandl.com

يدفع مصاريفهم!

وهنا في المدرسه الجديدة تعرفت على أبي الروحي الذي أخذت من روحه وأسلوبه كلَ شيء "محمد الأدهم"

مدرس التاريخ الذي عُين للتو في نفس السنة كمدرس بعد أن تخرج من جامعته.... لم يكن الأدهم مدرسًا يعرف التاريخ المزيف الذي ندرسه فقط؛ بل كان مرشدي لحياةٍ أخرى.

زرع في حبَ الكمال الذي كان ينقصه، وحبَ الشهرة التي كان يتسم بها، وحلمه الذي فقده في طرقات الحياة .....

أخذني من براثن الفشل وحول عنادي لكل من حولي إلى تحدٍ.. كي أكون متفوقًا في مدرسة الفشله هذه!

تفوقت بالفعل.. وكبرت وعرفت أن تفوقي في محيط مدرستي بتلك المناهج أكبر فشل في الحياة الحقيقية...

حكى لي كثيرًا عن حياته الفقيرة وقهر والده له، الذي كان يشبه والدي! والاثنان متفقان بأن المال هو الهدف الرئيسي في الحياة؛ فوالده بفقره.. ووالدي بغناه!

اكتشف معي حياة البزخ، وعرفت من خلاله نعمتها.. كان عكس

obeikandl.com

والدينا؛ فدائمًا كان يحثني على النجاح أولًا في كل شيء،، والأخير هو المال. إلى أن اختفى وتقطعت الأوصال بيننا!! عندما ذهبت إلى تلك الجامعة الخاصة متحديًا أبي بأني سوف أصبح إعلاميًا مرموقًا وليس تاجرًا.

اختفى الأدهم عندما أصبح بالنسبة لي نسخةً قديمة.. لا تطور فيها ولا تقدم. فكيف وهو معلمي أن أتطلع إلى الجديد؛ بينما يقبع هو في مكانه مستكفيًا بحاله، مقتنعًا بأن قد فات الأوان أن يصبح ما يريد وليس ما يريده القدر.... تركته أو تركني عندما أخذتني الحياة الصاخبة المليئة بالسهر والمناظر الخداعة.. وعندما عدت لأبحث عنه وجدته..... ولكن أصبحنا على غير عادتنا!!

لا تتوافق أفكارنا سويًا... أصبحت أنا ثوريًا وأصبح هو منافقًا لكسب عيشه.. أصبحت أنا في عنفوان الشباب وأصبح هو في بداية الشيخوخة.

تجنبنا بعضنا بعضًا حبًا وحفاظًا على الذكريات بيننا.... وذهب كلٌ منا في طريقه..

لأتوه أنا وحدي دون أب أو مرشد روحي.....

يملأ الشجر سور المدرسة الخارجي) كان الخريف قد بدأ و بدأت أوراق الشجر في السقوط واحدة تلو الأخرى) هذا المشهد الذي دوماً أحببته ..
كانت إشارة بحياة جديدة) يسقط فيها القديم ويحيا كل ما هو جديد) بعد رؤيتي الاضطراب النفسي الذي مررت به عندما غادرت أصدقائي ووصلت إليها مع أبي كي ألتحق بمدرستي الجديدة) عندما ضاق بي الحال و تركنا شقتنا بالمعادي لننتقل إلى إحدى المناطق الأقل تكلفة وحياة ...
استقبلنا مدير و صاحب المدرسة لمعرفته الشخصية بأبي) وقبل ما غادره بعد أن رأى درجاتي التي تفوقت النصف رأغبة من المدرسين :

_ هنا مدرسة المتفوقين وبس وشعارنا
" مستقبل الصفوة "

هذا الشعار الذي قابلته مرة أخرى بعد سبعة أعوام في الجامعة) و الشئ المشترك بينهم : أنها مجرد وسيلة لكسب المال فقط .
ولا يوجد بهم إلا القليل من المتفوقين) و الحقيقة إن كلاهما يقبل أي فرد يدفع مصاريفهم !

وفي نفس المدرسة الجديدة تعرفت على أبي الروحي
الذي أخذت من روحه وأسلوبه كل شيء
" محمد الأدهم "
مدرس التاريخ الذي عين للتو في نفس السنة
كمدرس بعد أن تخرج من جامعته ، لم يكن الأدهم
مدرس يعرف التاريخ العريق الذي يدرسه فقط ،
بل كان عريشدي الحياة أخرى .
زرع فيّ حب الكمال الذي ينقصه ، وحب الشورة
الذي كان يتسم به ، وحلمه الذي فقده في ~~~~
طرقات الحياة .
أخذني من براثين الفشل وصوت عنادي لكل من حولي
وإلى تحدي ، كي أكون متفوق في مدرسة الفشلة
هذه .
تفوقت بالفعل ، وكبرت وعرفت أن تفوقي في محيط
مدرستي أكبر فشل في الحياة الحقيقية ...
حكى لي كثيراً عن حياته الفقيرة ، وفقر والده له
الذي كان يشبه والدي ، والإثنان متفقان بأن المال
هو الهدف الرئيسي في الحياة ، فوالده فقره ووالدي
جنانه .
اكتشف وعي حياة البذخ ، وخرجت من خلاله ذهنية
كان الأدهم عكس والدي ووالده ، فنهايتها يحتوي على
النجاح أولاً في كل شيء قبل المال .

إلى أن إختفى و تقطعت الأوصال بيننا) عندما
ذهبت إلى تلك الجامعة الخاصة متحدياً أي بأني
سوف أصبح إداد حياً حروفاً و ليس تاجراً .
إختفى الأدهم عندما أصبح بالنسبة لي نسخة قديمة
لا تطور فيها ولا تقدم) فكيف وهو مطلوب أن أتطلع
إلى الجديد يقبع في مكانه مستكيناً بحاله) مقتنعاً
بأنه قد فات الأوان أن يصبح حابريه وليس حابريه القديم
تركته أو تركني عندما أخذتني الحياة الصاخبة المليئة
بالسهر و المظاهر الزائفة ... وعندما عدت لأبحث
عنه) وجدته .... و لكن أصبحنا على غير عادتنا .
لا نتوافق أفكارنا سوياً ... أصبحت أنا أهوى وهو
مناقض لكسب عيشه) أصبحت أنا في عنفوان الشباب
وأصبح هو في بداية الشيخوخة .
تجنبنا بعضنا بعضاً حياً) و حفاظاً على الذكريات بيننا
و ذهب كلاً منا في طريقه ....
لأتوه أنا وحدي دون أب ومرشد روحي

(مذكرة ١٦)
"القاهرة ٢٠١٢"

مهرتلة ومقطعة

تلك السنة التي أخرجت العجز من داخلي ليطغى عليّ وعلى من حولي.. أعتقد كانت الشرارة الأولى لما وصلت إليه الآن. عندما عملت بإحدى الجامعات الخاصة كمدرس مساعد، أو بالتحديد متخصص التدريب العملي لكلية إعلام.. كنت في مقتبل العمر، وذا خبرة في المجال العملي الذي سره شغفي بالسينما والفن. عُينت دون اختبارات لمعرفتي السابقة بالعميد والمعيدين الذين معظمهم من النساء.. أعتقد أنه سر من أسرار تعييني دون مجهود.. انسقت وراء الموقع المرموق الذي أغروني به، وهو ما بعد الماجستير والدكتوراه.. وأني سأصبح ذا مكانة عالية..

لم أكن أعلم أن تلك الأيام سادخل فيها تاركًا روحي لأرتدي الزي الرسمي أو شبه رسمي كي يتضح الفرق بيني وبين الطلاب الذين

obeikandl.com

أدرس لهم..... على حد قول العميد!

في البداية كنت لطيفًا وقريبًا من الطلاب حتى وقع خلافٌ حادٌ بين أحد الطلاب الأغنياء وأحد المعيدات الذين ينظرون لهؤلاء الطلاب بنظرة نقص بأنهم أصحاب علم والطلاب أصحاب مالٍ فقط. حتى وإن أحد الدكاترة في إحدى المرات في شجار مع طالب نعته بأنه يركب المرسيدس ويمرح بها تاركًا مذاكرته!! الحقيقة التي اكتشفتها أن جميعهم مزيف!! يأتون بي كي أسوي الخلاف حتى وإن تطاول أحد الطلاب... ففي تلك الأماكن لا يستطيع حتى عميد الكلية توبيخ أحدٍ من الطلاب؛ وخصوصًا إن كان والده أو أحد أقاربه من المسئولين أو من الطبقة التي تلبي رغبات هذا العميد الوصولي.....

تدريجيًا تحولت شبه الملابس التي أصبحت أرتديها؛ غامقَ اللون.. روتيني المظهر والروح.. حتى أن قررت ترك الجامعة والحياة الأكاديمية، وفتح شركتي الصغيرة دون أي خبرة في هذا المجال.. ولكني سوف أترك هذا العبث.. هذا المجتمع المزيف ذا السلطات متداولة المصالح.. أتذكر في اجتماع المعيدين مع عميد الكلية ورؤساء الأقسام بأن أحد الطلاب سوف يتغيب هذا الفصل الدراسي لإصابته أيام الثورة التي لم يمر عليها عام، وقد فقد واحدةً من عينيه نتيجة إصابته بخرطوش.. أتذكر حينها ماذا قال العميد:

«أنا مش عارف إيه اللي نزله!! حاجه تقرف ينزل زي الأهبل وعينه تروح ويقرفنا معاه في تأجيل وزفت»

لم يسعني الكلام!! كان الاجتماع قبل الحفله السنوية التي تُقام في الجامعة، وفوجئت في الحفل بأن العميد يحيي الثوار من الشباب؛ وبالأخص الطالب الذي أُصيب في عينه.. هذا البطل –على حد قوله– أنه هو وجميع دكاترة الجامعة سوف يقفون بجانبه فور عودته....

انهال التصفيق الحار.. لمعت عينه.. وتساوى شعره المصبوغ بعناية وانطفأ في عيني إلى الأبد.

هذا العام الباهت الذي أوضح حقيقة البلد في صورته الصغيرة (الكلية) فرئيسها العميد ورجالته وحاشيته دكاترة الأقسام من تحته.. ومن تحتهم الأجهزة.. والطلاب ما هم إلا الشعب المضحوك عليه.....

يجلس العميد بالمكتب بمفرده وقد وصل للتو.. ولقد علمنا بوصوله من خلال هذا العطر الذي تعودت عليه أنفاسنا.. وجميع الموظفين قاربوا على الانصراف، نجلس نحن بغرفتنا التي تكونت من أكثر من اثنتي عشر مكتبًا منتشرين في تلك الحجرة الخانقة.. فعندما أصل

obeikandl.com

صباحًا هنا يضيق نظري وتتحول تلك المكاتب إلى أسرة للمرضى في مستشفى حكومي مثل التي جلس بها هذا الرجل المسن عندما رأيته برجل متورمة كادت أن تنفجر ويبكي....

-انت كويس ياحج؟

-أنا بموت يابني...

يبكي بشدة.....

-تحب أوصلك في حتة؟

-ماليش مكان!!

هممت أن أضع له المال الذي أخرجته من جيبي.. فاجأني قائلًا:

-لا..لا والنبي ...لا

قلت له مستغربًا:

-ايه اللي لا؟!

-أنا مش عايز فلوس والله.. أنا عايز أمشي على رجلي!!

أفقت على صوت إحدى الزميلات.....

obeikandl.com

-صباح الخير..

أحيانا لا أستطيع رد الصباح، وأحيانا أرد الصباح المثقول بالنوم ورائحة العرق التي بات معظم راكبي الميكروباص بالأمس بها من شدة التعب؛ فلم يجدوا وقتًا كي يستحموا.. فهمهم الوحيد النوم كي يستطيعوا الاستيقاظ مبكرًا للدوران في الساقية مرةً أخرى.

ينتهي اليوم ونكتشف الصديقة الممتلئة تضع العطر ذا الرائحة النفاذة.. فنعلم أنه قد وصل، وهي فقط التي تعرف موعد وصوله بالتحديد.. نذهب جميعًا كي ننصرف، وتسبقنا هي إلى مكتبه.. تكرر الفعل طيلة الثماني أشهر التي عملت بها هنا.. أثار هذا فضولي فقررت أن أمارس عادةً لم أمارسها يومًا وإن كانت تتسم بالقبح أو عدم الأخلاق لا يهمني فحياتي ومن حولي قبح!! وما يزيد على القطران غير القليل من الاتساخ.. لا يهم...

انتظرت حتى ذهب الجميع وجلست في الحمام.. وهم داخل مكتبه الكبير.... تسللت حتى أصبحت قبل الباب بقليل.
لاحظت أن الباب زجاجي، وخيالي قد يظهر لهم!! انحنيت حتى أصبحت كالثعبان يتلوى حتى يصل إلى مبتغاه وكل ما استطعت سماعه.....

تلك السنة التي أخرجت العجز من داخلي ليطغى على وعلى من حولي ، أعتقد تلك الفترة كانت الشرارة الأولى فيما وصلت إليه الآن ، عندما عملت بإحدى الجامعات الخاصة كمدرس مساعد أو بالتحديد متخصص التدريب العملي بكلية إعلام ، كنت في مقتبل العمر وذو خبرة في المجال العملي الذي سمح لشخص بالسنة الرابعة بالعمل دون إختبارات لمخرجات السابقة بالعمل والمعيدين الذين معظمهم من النساء أعتقد إنه سر من أسرار تعيني دون مجهود ، إنسقت وراء الموقع المرموق الذي أغرموني به ، وهو ما يحب الماجيستير الدكتوراة بأنني سأصبح ذو مكانة عالية لم أكن أعلم أن تلك الأيام سأدخل فيها تاركاً وراءي الأرشيف الذي الرسمي كي يتضح الفرق بيني وبين الطلاب الذين أدرس لهم ..... على مدخول المعيد !

في البداية كنت لطيفاً وقريباً من الطلاب حتى إن وقع خلاف حاد بين أحد الطلاب الأغنياء وأحد المعيدات اللاتي ينظرون لهؤلاء الطلاب بنظرة نقص ، بإنهم أصحاب علم والطلاب أصحاب مال فقط ، حتى وإن أحد الكاترة في إحدى المرات في شجار مع طالب ذكرته بإنه يركب الموتسيكل وسخر به تاركاً ذكراته !!

الحقيقة التي اكتشفتها أن جميعهم مزيف ، في تلك الأحاديث لا يستطيع حتى عميد الكلية تبويخ أحد الطلاب ، وخصوصاً إن كان والده أو أحد أقاربه من المسؤولين أو من الطبقة التي تلبس بدلات هذا العميد الأصولي ....
تدريجياً تحولت شبه الحادثة التي أصبحت أثر تدريها فاقد اللون ، وتنفس الظهور والروح ، حتى أن قررت ترك الجامعة والحياة الأكاديمية وفتح شركتي الصغيرة دون أي خبرة في هذا المجال ، ولكني سوف أترك هذا العبث ..
هذا المجتمع المزيف ذو سلطاته المتداولة الخاصة.
أتذكر في اجتماع المعيدين مع عميد الكلية ورؤساء الأقسام بأن أحد الطلاب سوف يتغيب هذا اليوم لإصابته أثناء الثورة التي لم يصر عليها عام وقد فقد إحدى عينيه نتيجة إصابته بخرطوش ، أتذكر جيداً ماذا قال العميد:
" أنا مش عارف إيه اللي نزله ، حاجة تتعرف ينزل ليه الشغل وعينه تروح ويتعرفنا مكانه في تأجيل ورفته "

لم يستغرق الكلام ... كان الاجتماع قبل الوقفة السنوية
التي تقام في الجامعة) وفوجئت بأن العميد يحيي الثوار
من الشباب و بالأخص الطالب الذي أصاب في عينه
هذا البطل ! ..... على حد قول العميد إنه
هو وجميع دكاترة الجامعة سوف يقفون بجانبه
في محنته .....
(فوال التصفيق الحار) ولمعت عينه لم تساوي
شعره المصبوغ بعناية) وانطفأ في عيني رأس الأبهة

هذا العام الباصات التي توضح حقيقة البلد في صورته
الصغيرة (الكلية) فرئيسها العميد ورجالته وحاشيته
دكاترة الاقسام من تحته) ومن تحتهم الأجهزة)

والطلاب حالهم حال الشعب الخضوع
عليه .....

بمجلس العميد بالمكتب بمفرده ، وقد وصل للتو ،
خلصنا بوصوله من خلال هذا الخطر الذى تعودت
عليه في نفاستنا ، وجميع الموظفين قاموا على
الإثر نصراني ، نجلس نحن بغرفتنا وقد تكونت
من ثلاثة من اثنى عشر مكتب منتشرين في الحجرة
الخانقة ، فعندما أصل صباحاً هنا يضيق نظري
وتتحول تلك المكاتب إلى أسرة للمرضى في
مستشفى حلوان ، مثل التي جلس بها هذا الرجل
الحسن عندما رأيته بهذا الحال حتى أنه كاد أن تنفجر
وينهار ....

- إنت كويس يا حاج ؟

- كنا بموت يا بني

- تجيب أو صلك في حتة

- خليش حكان

همهمت أن أضع المال الذي أخرجته من جيبي ،
فاجئني قائلاً :

- لأ .. لأ والنبي .. لأ

قلت له مستغرباً :

- إيه اللي لك ؟!

- أنا مش عاوز فلوس والله ، أنا عايز أمشي على رجلي .
أفقت على صوت إحدى الزميلات .....

- صباح الخير ..

أحياناً لا أستطيع رد الصباح، وأحياناً أرد الصباح المشغول بالنوم ورائحة العرق التي باتت معظم راكبي الصيلم وباص بالأمس بوا من شدة التعب، فلم يجدوا وقتاً كافياً للاستحمام، فهموم الوصيد النوم كي يستطيعوا الاستيقاظ مبكراً للدوران في الساقية مرة أخرى.

obeikandl.com

ينتهي اليوم وتكشف الصديقة المقتلة تضع الخطر ذو
الرائحة النفاذة ، فنعلم أنه قد وصل ، وهي فقط
التي تعرف موعد وصوله بالتحديد ، نذهب جميعاً لي
نتصرف ونستعد هي إلى مكتبه ما كان الفعل طيلة
الثماني أشهر التي عملت بها هنا .....
آثار هذا فضول فقررت أن أمارس عادة لم أمارسها
يوماً ، وإن كانت تتسم بالقبح وعدم الأخلاق .....
لا يهمني فحياتي ومن حولي .. قبح .. وما يزيد على
القبح ~~القبح~~ الانطواء غير القليل من الإتساخ .
انتظرت حتى ذهب الجميع وجلست في الحمام وهم
داخل مكتبه الكبير ..... تسللت حتى أصبحت قبل
الباب بقليل ، لاحظت أن الباب زجاجي ، وخيالي
قد يظهر لهم ، انحنيت حتى أصبحت كالثعبان يتلوى
حتى يصل إلى مبتغاه ، وكل ما استطعت سماعه ،
وعبارات ت

(مذكرة ١٧)

"القاهرة ٢٠١٥"

أخذتني "يارا" إلى إحدى الندوات العلمية عن نشأة الكون.. وكان يشغلني هذا كثيرًا حينها إلى أن أشفقت عليّ وأبلغتني أن أقابلها في الجامعة الأمريكية لنحضر سويًا تلك الندوة لدكتور إنجليزي.. لم تكمل الندوة النصف ساعة وأتذكرها جيدًا:

دخل الدكتور إلى القاعة المليئة حيث اكتشفت أنني لستُ وحدي الذي يبحث عن الإجابة.. نظر إلينا لبضعة ثوانٍ حتى هدأ الجميع.. اتجه إلى اللوح أمامه وكتب بالإنجليزية بالقلم الأزرق:

"كيف بدأت الحياة"؟

ثم استدر نحونا وعلى وجهه علامات الفضول وقال:

-إذا؛؛ من منكم يعرف الجواب؟

بعد ثوانٍ رفع أحد الحاضرين يده بالإجابة:

-الله خلق الكون والحياة علة الكرة الأرضية.

رد الدكتور قائلًا:

obeikandl.com

–جيد.. هل من أفكار أخرى؟

رفع أحد الحاضرين الأجانب:

–يُوجد فرضية علمية تُسمي بانسبرميا "التبذر الشامل"؛ حيث تقول إن الحياة بدأت في مكان آخر في الفضاء وأنها وصلت إلى كوكب الأرض وبدأت بسبب توفر الشروط المناسبة (وجود الماء بشكل ثلاثي) لها على كوكب الأرض.

–جيد.. شكرًا... هل أحد لديه أفكار أخرى؟

رفعت يارا يدها وفاجأتني بجوابها:

–من الممكن أن يكون هذا الكون عبارة عن برنامج محاكاة وأننا لسنا إلا برمجيات داخل نظام محاكاة كوني.. الحياة على كوكب الأرض ليست سوى عملية برمجية داخل حاسوب كمي كبير، نسميه نحن الكون.

نظر الجميع إلى يارا باستغراب حتى الدكتور.. وابتسمت أنا. تلك المجنونة متأثرة بالأفلام التي تشاهدها.. ثم جلست بعد أن قاطعها أحد الحاضرين قائلًا:

–يوجد فرضية تقول إنه في بدايات كوكب الأرض وبعد أن انخفضت درجات الحرارة عليه تعرضت المياه المتواجدة على السطح لشحنات كهربائية بسبب البرق....

قاطعه أحدهم قائلًا وقد احتد النقاش:

-فرضية البرق ليست دقيقة بسبب عدم قدرتنا على تكرار نفس الشحنات الكهربائية الناتجة من البرق.. أيضاً يوجد فرضيه مشابهة تقول إن الفوهات البركانية هي التي أدت إلى نشوء الحياة بحكم أن قطاع المحيطات أكثر استقرارًا من سطح الأرض حيث كانت الشهب تتساقط وتقصف سطح الأرض باستمرار.

صمت الجميع.. وشعرت حينها بأني جاهل.. ما هذا النقاش!!

قطعت صمت الجميع وسألت الدكتور متلهفًا لمعرفة الإجابة:

-ما هو الجواب؟

رد الدكتور قائلًا:

-الجواب هو أني.... لا أعرف!!!!!

تعلموا أن تقولوا لا أعرف.. الاعتراف بعدم المعرفة هو الخطوة الأولى نحو اكتشاف ما هو مجهول لنا.

لا أحد يعرف كيف بدأت الحياة؛ وربما واحد منكم سيكشف النقاب عن هذا اللغز.. لكن أولًا يجب أن نعرف أننا لا نعرف.

ثم ترك القلم الذي بيده، وانصرف.....!

obeikandi.com

(مذكرة ١٨)
"القاهرة ٢٠١٤"

بسبب حرز و كيارا وفضولها وقعت في علاقتي مع سارة.. أصبحت أدمن لونها، صوتها، حركة جسدها.. حتى بعد أن خرج حرز من الحبس أخفيت علاقتي بأخته....

لماذا أثقل روحي المعدومة بالكثير من العلاقات التي تجردني مني؟!

تعاطفت معها لأبعد الحدود، حتى خصصت لها دخلًا شهريًا.. ولكن ماذا سأفعل لأخذ عصفورٍ من مستنقع تماسيح؟!

أصبحت سارة الشباك الذي أطل منه على عالمٍ لم أره من قبل.. مجتمعٍ لم أعرف أنه موجود. كيف يعيش المرء مقتنعًا بأنه بأفضلُ حالًا بمقولة (ارض بالمقسوم)؟!!!

هل المقسوم بأن تتأقلم سارة وأمها وأختها في هذا الوضع؟

أصبحت أتردد كثيرًا على وكر أمها وكأني قوادهم!!

وفي إحدى المرات تشاجرت مع أحد الزبائن الذي اختار سارهة..

obeikandl.com

وانتهى الشجار بنزولي من البيت ومعي سارة.... جلسنا في إحدى البارات التي عرفتني عليها كيارا، احتسينا الكثير حتى أصبحنا سكارى... أحب أن أصل لتلك المرحلة؛ وأحببت سارة أكثر عندما غاب لسانها، وأصبحت تنطق بما في داخلها:

-رقاصة... عايزة تشتغلي رقاصة؟!

-آه...علشان بتطلع للشرف..

-تطلع وشرف؟!

أضحكني كثيرًا قولُها!! كيف لهذه الجاهلة أن تقول هذا!! يبدو أن السكر لم يخرج فقط ما بداخلها من قبح؛ ولكنه يجعلها فيلسوفة...

-أشتغل رقاصة وأشقى شوية.. أعمل قرشين وربنا يكرمني وبعد ما أقف على رجلي أحقق حلمي...

-آه والله عندك حق وأنا كمان...

تضحك.....

-هتشتغل رقاصة؟

-لا.... بس أي شغلانة عكسي وخلاص.. علشان بردة بتطلع

obeikandl.com

للشرف، ونفسي ف يوم أكون محترم.

–كلنا بنشتغل رقاصة.. على أمل اننا بعدها نحقق أحلامنا؛ بس الحقيقة اننا بننسى احنا كنا عايزين ايه، وبتاخدنا حياة الراقصين.... ف بنرقص في المواصلات، ومع الناس.. وعلى الناس.. وعلى نفسنا.... مصر كلها رقاصات.... انت بقى رقاصة؟

–أنا بسعى أكون أكبر رقاصة؛ بس الشغلانة لمت!!!!

obeikandl.com

(مذكرة ١٩)

بقايا مذكرة لم يتبين أولها ولا التاريخ..

لقد طال انتظاري خلف الباب.. وقد أرهقت كوني مثل الثعبان على الأرض كي لا يروني.... حتى الآن لا أسمع سوى بعض الضحكات المكتومة، وهمهمة الزميله الممتلئة.. قال لها بصوت مرتفع:

-مش هينفع.. أنا عندي ولد وبنت،، وسمعتي ومكانتي... مش هينفع.

-بس انت عرضت عليا قبل كدة!!

-كان وقتها ينفع..

-وايه اللي حصل؟

-مش هينفع وخلاص..

obeikandl.com

–وأنا مش هفضل كدة!!

–امشي....

هرعت بالقيام والابتعاد... ومن كثرة الارتباك نسيت أن الباب الزجاجي سوف يفضح أمري.. وصلت إلى درجات السلم المؤدية إلى الطابق السفلي وهي تفتح الباب من الداخل وهو خلفها يقول:

–كان فيه حد؟

–مش عارفة!! أنا خايفة!!!

–من ايه؟

–أحسن يكون حد شافنا أو سمع حاجة!

–وتفتكري هيصدقوا اللي هيتقال؟

–ليه لا؟!

–يا بنتي انتي من دور عيالي... وأنا راجل متدين..

يسود الصمت.....

حتى إني سرحت قليلًا مع تلك الكلمات.. حقًا إنها متعة... هذه العادة كيف لم أمارسها من قبل!! ولماذا لا أمارسها دومًا...

obeikandl.com

لست وحدي الذي امتلأت بالاتساخ؛ فهناك أو هنا من صنع الاتساخ لنقع فيه نحن أو أشباهنا.

طال خيالي لأفاجئ:

– بتعمل ايه هنا؟

–نسيت الشنطة.

–تحب أجبهالك؟

–لا خلاص.. بكرة... مفتاح الأوضة مش معايا.

–أنا معايا هروح وأجبهالك بسرعة..

أسرعت على درج السلم خائفًا.. ولا أعلم لماذا!! من الجائز أن بيت الزواحف لدغته مميتة إذا اقتربت أكثر من اللازم، أو أنها أول شيء من كل شيءٍ له خوف! غدًا سوف يزول الخوف، وسأتمكن أكثر من الاختباء عندما أتمرس تلك العادة...

obeikandl.com

لقد طال انتظارك خلف الباب، وقد أرهقت كوني حمل الثعبان على الأرض التي لا يرونني ... حتى الآن لا أسمع سوى بعض الضغطات المكتومة، وهمومات الزميلة المتثائبة

ثم قال لها بصوت مرتفع:

- حمش هينفع كده أنا عندي ولد وبنت، وسمعتي وكلامي.. حمش هينفع

obeikandl.com

- بس أنت خرجت عليا قبل كده
- كان وقتها ينفع
- وعايز إيه دلوقتي ؟
- مش هينفع وخلاص
- وأنا مش هفضل كده
- اهدي .....

هرعت بالقيام والإبتعاد ... ومن الثورة التي تملكت نفسيتي قمت بالباب الزجاجي سوف يفضح أمري ، وصلت إلى درجات السلم المؤدية إلى الطابق السفلي وهي تفتح الباب من الداخل وهو خلفها يقول :

- كان في حد ؟
- مش عارفة .. أنا خايفة
- من إيه ؟
- لو حسن حد يكون شافنا ولا سمع حاجة
- وتفتكري هيصدقوا اللي حصل ؟
- ليه لأ ؟!
- يا بنتي انتي من دور عيالي .. وانا راجل متدين

يسود الصمت ..... حتى أني سرحت قليلاً مع تلك الكلمات ، تُرى إنها حقاً ..... هذه العادة كيف لم أمارسها من قبل .. ولماذا لا أمارسها دوماً ؟! .....

لست وحدي الذي امتلئت بالإنسان، فهناك ألوفنا من صنع الإنسان لنقع فيه نحن وأشباهنا.
طال خيالي لأفاجأ:

- بتعمل إيه هنا؟
- نسيت الشنطة
- تحب أجيبهالك؟
- لأ خلاص.. بكره.. هتتاح الدوخة مش مشكلة
- أنا مشكلة.. صدق أجيبهالك بسرعة

أسرعت على درج السلم خائفاً، ولا أعلم لماذا، من الجائز أن بيت الزواف لدغته حية، وإذا اقتربت أكثر من اللازم، فلا بد أنها تقول شيئاً من كل شيء لها خوف، غداً سيزول الخوف وسأتمكن أكثر من الإصغاء، لعلها تعرس تلك العادة.

(مذكرة ٢٠)
"القاهرة ٢٠١٢"

عندما تتخلى عن كونك مواطن عادي وتندرج تحت سلطان السلطة تكتشف الكثير وكجندي من جنود الكلية الآن.. فتح لي أبواب المطبخ، حتى إن بعض المناهج التي تدرس مأخوذة من الانترنت!!

كل من كان ذا قامه لي ومثالًا يُحتذي به أصبح أقلَ من ذرة الرملة في الصحراء.. دائمًا الأشياء أجمل في بعدها.. ومع كثرة القرب تصبح العيوب أكثرَ ظهورًا.

شاهدت قوة الوساطة.. شاهدت الظلم يتحرك وينهش في.. عندما تلاعبت إحدى المعيدات بالكلام لابنة العميد، ونقلت ما نقلت على لساني... وكيف أصدر الفرمان بنفيي خارج المبنى.. وأنا الذي يعمل هنا!!

تلك الانحيازات بين الفرق والأقسام وكل قسم بوكيله له جنوده وحاشيته.. وجميعهم كالفئران تحت راية الريس.. والريس أقل من الفأر تحت وطأة السلطة.. هذا المجتمع الصغير القذر كفيل بأن يوضح

لي المجتمع الكبير... انسحبت وتركت المكان الذي أحببته كطالب أو كمواطن.. وذهبت وأنا كاره كل ما فيه.....

حينها التقيت بفتاة صافية لا يلطخها إلا هذا الموان الذي أقنعها بأن كثرة المكياج على الوجه سوف تجعل منها قاهرية معاصرة!! تلك الفتاه التي فاجأني بها أحد الأصدقاء طالبًا مني أن تجلس الليلة في مقر الشركة الصغير حتى الصباح لأنها آتية من إحدى المحافظات، وقد تعرف عليها في إحدى الحفلات.. ثم قال لي:

-متفكرش "يارا" مش هتعجبك.. آخرها هتبات وتمشي.

ابتسمت وقد عرف فكري الذكوري..... بأنها سوف تجلس هنا الليلة ونتحسس سويًا بروز أجسادنا.. أقنعني أنها لم تكن من الذين أهواهم أو يجذبني أشكالهم!! تركت المكان..... وفي الصباح ذهبت لأري فتاةً لم تتخرج بعد من طب.. ذات جسد ممتلئ قليلًا.. وابتسامة عريضة جميلة بعينٍ واسعة.. هذه الفتاه التي أرادت في إحدى المرات أن تأتي إلى القاهرة وتقابلنا.. وأصرت أن تبيت هذه الليلة في القاهرة.. عرضت عليها منزلي ولكن بشرط؛ أن نحتسي سويًا كأسين.... استجابت وتهيأتُ كصياد بأن أضع المخدر لفريسته حتى يسهل عليّ ذبحُها بسكين بارد.. ذهبنا إلى المنزل وجلست أحتسي الكثير.. والقليل لها أغابها عن الوعي، حتى أتت بكل ما

في أمعائها.. ربطت على كتفي خائفة. لم تقدر على الكلام ولكني شعرت في عينيها استنجادًا مني!! ولكنها في حالة لا تستطيع أن تقاوم. خلعت عنها ملابسها التي أصبحت ملطخة بما جاء من أمعائها، وأصبحت أمامي شبه عارية بملابس داخلية فقط..... وضعت رأسها تحت الماء وأدخلتها الحجرة.. لم تفق تلك الفتاة المبتدئة إلا بالنوم. وضعت عليها الغطاء وهمست في أذنها:

-متخافيش مش هعملك حاجة.. نامي براحتك.

أغلقت الباب وذهبت.

أصبحت أنا وهي لا أحباب بل أقرب؛ ولا أصدقاء لكن أصدق.. علاقه لا تفسير لها.. لم يلمس جسدنا الآخر.. كنا نشارك الشقة نفسها كلٌ منا له النصف.. حتى في تلك الليالي التي نشارك فيها السرير الواحد!

هذه العلاقة التي نضجت وجعلت أرواحنا تتلاقى.. كلٌ منا يعرف عيوب الآخر.. تلك الفتاة العفوية ذات المكياج الملون إلى تلك الفتاة الساحرة بروحها وعملها كثيرة التنقل والترحال قد نضجت على يدي.... رغم صغر سني الذي يكبرها؛ ولكنها سوف تظل بمثابة الابنة التي سأظل أحبها..

obeikandi.com

المحاضرة ١٢

عندما تتخلى عن كونك مواطن عادي وتندرج تحت سلطان السلطة ، تكتشف الكثير وكجندي من جنود الكلية الآن فتح لي (باب المطبخ) حتى وإن بعض المناهج التي تدرس مأخوذة من الإنترنيت !

كل من كان ذو قامة لي ومثال يحتذى به أصبح أقل من ذرة الرملة في الصحراء ، دائماً الشيلا أجمل في بعدها ، وعند كثرة القرب تصبح العيوب أكثر ظهوراً .

شعرت قوة الوسالة ، شاهدت العالم يتحرك وينهض في .... عندما تلاعبت بأمر المعيدات ونقلت كلام لبنة المعيد ، ونقلت ما نقلت على لساني ...

وكيف أصبر الفرحان بنص خارج العين وأنا الذي يعمل صنا !

تلك الإنحيازات بين الفرقة الأقسام ، كل قسم يوكيله له جنوده وحاشيته ، وجميعهم تالعشران تحت راية الرئيس ، والرئيس أقل من الغاب قوة وشدة السلطة ، هذا المجتمع الصغير القذر ، أفضل بأن يوضع في المجتمع الكبير ، إنسحبت وتركت الهلان الذي اعيشه الطالب أو كعواطن ، وذهبت وأنا كاره كل ما فيه ...

حينها التقيت بفتاة صافية لا يلطخها هذا
العدوان الذي أقنعها بأن كثرة المكياج على
الوجه سوف تجعل منها فتاة عصرية معاصرة)
تلك الفتاة التي غالبا ما تجد أحد الأصدقاء لها يطلب
أن تجلس الليلة في حفل الشركة حتى الصباح)
لذا نجد آتيه من إحدى المحافظات القروية
ولا تعرف أحد في القاهرة) وقد تعرف عليها في
إحدى الحفلات لتبادل مغمور في المنصورة)
ثم استطرد قائلاً:
- حاتفكرش "يارا" مش هتعجبك) أخرها
صباح وتعيش.

ابتسمت وقد عرف فكري الذكوري... بأنها سوف
تجلس هذا الليلة وتتحسس نسوياً بدون أجسادنا)
أقنعني أنها لم تكن من الذين أهواهم أو يجذبني
أشكالهم.
تركته الدقائق... وفي الصباح ذهبت لأرى فتاة
لم تتضرج بعد من لهب المنصورة) ذات جسد
ممتلئ قليلاً) وابتسامة عريضة جميلة
بعين واسعة.

هذه الفتاة التي أرادت في واحدة الحرات أن
تأتي إلى القاهرة ، وتقابلنا ثم أصرت أن
تبيت هذه الليلة في القاهرة ، عرضت عليها
منزلي ولكن بشرط أن نفترس سوياً كالأسان...
إستجابت وتوسلت لصياد بأن يخرج المصري
لفريستي حتى يسهل علي ذبحها بسلين
بارد ، ذهبنا إلى المنزل وجلست تفترس
الكثير والقليل لها أغابها من الوحش ، حتى
أتت بكل ما في المعائط ، ربضنا على كنبة
خافتة ، لم تستطع الكلام ولكني شعرت
في عينها باستنجاد مني ، ولكنها في حالة لا تستطيع
أن تقاوم .
خلعت ثيابها بسرعة التي أصبحت ملطخة بها
بعاد من أمعائها ، وأصبحت أمامي شبه عارية
بملابس داخلية فقط... وضعت رأسها تحت
الماء وقد خلتني الجبرة ، لن تفيق تلك الفتاة
المسكينة إلا بالنوم .
وضعت عليها الغطاء وجلست في أدنى :
- متخافيش مش هعملك حاجة ، نامي يا حبتك ،
أغلقت الباب وذهبت .

ضيعة ذنا وحس لا أحباب بل أقرب) ولا أحد فاد
تلن أصدق) علاقة لا تفسير لها (لم يلمس
جسد كلٌ منا الآخر) كنا نشارك الشقة نفسها
كلاً منا له النصف حتى في تلك الليالي التي
نتشارك فيها السرير الواحد !
هذه العلاقة التي نضجت و جعلت أرواحنا تتلاقى (
كل منا يعرف عيوب الآخر بل كل شيء عن الآخر (
تلك الفتاة العصبية ذات المزاج العلون ، التي تلك
الفتاة الساحرة بروحها و عبثها تحب التنقل و الترحال
قد نضجت على يدي .... رغم صغر سني الذي
يكبرها) و لكنها سوف تظل بمثابة الابنة التي دوماً
و أبداً أحبها .

(مذكرة ٢١)
"القاهرة ٢٠١٥"

الثالثة صباحًا منتشيًا على القهوة أنتظر حرز.. صوت الفضا يجعلني خاويًا أكثر.. جلست ثلاثة أيام حبيس شقتي القابعة بين العمائر العالية.. اخترتها لأنها قديمة ومازالت محتفظة بأصالتها رغم صغر حجمها المكون من ثلاثة طوابق فقط.. لا يحرسها بواب أو أمن.

تؤمن لي شر الناس من حولي.. عندما تصعد إحدى الفتيات التي أغرق معهم هاربًا من وحدتي حتى وإن البعض ظن أنني مالك العقار!! أتذكر في إحدى المرات التي عدت وبصحبتي فتاة.. أوقفني أحد سكان العمائر الفاخرة العالية وأبلغني أنه يريد واحدة يقضي الليلة معها.. صرخت بوجهه بأني لست بقواد!!

حينها هددني بأنه سوف يبلغ الشرطة لكثرة النساء اللواتي تأتي إليّ....أخبرته بأن نذهب الآن إلى القسم ويريني ماذا سوف يفعل.... لا أعلم من أين أتت لي الشجاعة لأقول هذا وقد عرفت أنه مستشار له قامته في المنطقة بأكملها!! ذهبت وبعد نصف ساعة تركتها تذهب بعد أن أعطيتها حفنة من المال.. ترددت قائلة:

obeikandl.com

-ممكن ماخدش فلوس وأبات معاك..

أكره هذه النساء اللاتي تأخذ ثمنًا لمتعتها. فمن المفروض أن لا تأخذ المال!! فكلٌ منا يستمتع.. وإن وجب أن يأخذ أحدٌ المال فالرجل أحق بذلك بما يبذله من مجهود!

لماذا استمعت ل (حرز) بأن أجرب هذا النوع من النساء!! فلا تكفيني كيارا الساحرة، أو سارة الجميلة، أو واحدة من علاقاتي الأجنبية!!!

أين أنت يا حرز؟!! فقد ضاقت بي روحي أيها الغبي.

رأيت شبحًا يأتي من آخر الشارع مهرولًا.. للوهلة الأولى ظننت أنه يجري باتجاهي ليقبض روحي!! هل حان الوقت؟

هل هو عزرائيل؟....

وقفت من جلستي خائفًا دون حراك، متأهبًا بأن تقبض روحي... هل هذه الهلاوس قبل الموت التي أسمع عنها؟

قبل أن أجد ردًا على سؤالي وضحت الرؤية؛ لأجد حرز مهشم العظام والوجه!! الدماء تملؤه ممسكٌ بيدي ويجذبني بأن أجري بهذا الاتجاه.....

الثالثة صباحاً متشبثاً على القهوة أنتظر "حمزة" ، صوت الفضا يجعلني خاوي الكرش ، جلست ثلاثة أيام حبيس شقتي الضايقة بين العمائر العالية ، إختبروا لذنوا قديمة وحارات محتفظة بأصالتها رغم صغر حجمها المكون من ثلاثة طوابق فقط ، هذه العمارة التي أسكن بها لا يحرسها بواب أو أمن .

تأمن لي بشر الناس من حولي عندما تصعد واحدى الفتيات اللاتي أغرق معهم صباحاً من وحدتي ، حتى وإن البعض ظن إنني حالة الإقتصاد في واحدى المرات التي عدت به بصحبتي فتاة أو قضى أحد سكان العمائر الفاخرة العالية ، وأبلغني إنه يريد إمرأة يقضي معها الليلة ، صرخت بوجهه بإنني لست بقواد !

حينها صدقني بأنه سوف يبلغ الشرطة لكثرة النساء اللواتي تأتين لي ...

أخبرته بأن نذهب الآن إلى القسم ، ويرين حادا سوف يفعل ... لا أعلم من أين أتتني الجرأة لأقول هذا وقد عرفت أنه مستهتار ، لم تعاقبه في المنطقة بأكملها ، ذهبت وبعد نصف ساعة تركوا تذهب بعد أن أعطيتهم مبلغ من المال ، ترددت قائلة :

- حمدان ما ڤخدش فلوس ولا باش معاك

ڤلّه هذه الفساد اللي تاخذ ثمن لقتعتوا ؟ فمن المفروض ڤن لا تاخذ المال فلاڤ حتى يستصح ؟ وان وجب ڤن ياخذ ڤجراً (المال) فالرجل ڤحق بن لك بما يبذله من مجهود !

لماذا استعملت لحرز بان ڤجرب هذا النوع من الفساد (فلا تكفيني لمارا الساحرة) ڤو سارة الجميلة) ڤو واحدة من صلاقاتي الاجنبية ؟! أين ڤنت يا حرز ؟) فقد ضاقت بس روحي ڤيها الغبس .

رڤيت شبح يأتي من ڤول الشارع مهرولاً (للوهلة الاولى ظننت انه يجري باتجاهي ليقبض روحي) هل حان الوقت ؟ هل هو عزرائيل ؟

وقفت من جلستي خائفاً دون حراك ؟ متأهباً لأن تقبض روحي ... هل هذه الهلاوس قبل الموت التي أسمع عنها ؟

قبل ڤن ڤجد رد على سؤالي ؟ وضحت الرؤية لأجد حرز موشم الغطاء الوجه ؟ والدماء تملؤه ؟ ممسكاً بيدي ويجذبني بأن ڤجري بهذا الاتجاه ....

(مذكرة ٢٢)

صوت الحمام أيقظني لأجد نفسي بملابس غير ملابسي.. على أريكة.... بها الخشب فقط!

فقرات ظهري تؤلمني.. لا أستطيع فتح عيني وقد أغرقني زبل الحمام....

هل هذا حلم أم هلاوس؟!! مازلت هنا منذ أمس..... أرى مرة أخرى شبح حرز يحدثني:

–ايه ياعريس صباحية مباركة.

الشبح أصبح اثنين وبجانبه امرأة... هل هي امرأة الشبح؟

ما هذا الخبل الذي أفكر فيه!! يجب أن أفيق..... وغبت عن الوعي مرةً ثانيةً.....

obeikandl.com

صوت الحمام أوقظني (لأجد نفسي بملابس
غير ملابسي) على أريكة ... بوا الخشب فقط !
فقرات ظهري تؤلمني (لا أستطيع فتح عيني
وقد خرقني ذيل الحمام ...
هل هذا حلم أم كابوس حاولت الهرب من الحبس ما
أرى مرة أخرى شبح مرزي يحدثني :
- إيه يا عريس صباحية مباركة .
الشبح أصبح إنسان وبجانبه إمرأة ... هل هل هي
إمرأة الشبح ؟
ما هذا الحبل الذي أفكر فيه (يلعب ذن أفيق)
وغبت عن الوعي مرة ثانية

obeikandl.com

"يارا"

الخامسة عصرًا ... أجلس بجانب الشرفة المطلة على شارع رمسيس.. وقد تحولت أبواق السيارات إلى حفلة صاخبة.. ينتشر منها العادم في هيئة أشباح تخنق الجميع..

لا مجال للمارة.... ولا السيارات!

عندما يمر أحد الأشخاص المهمين ظانين بأن مؤامرات الكون تستهدفهم، أو بالأرجح هم يعلمون جيدًا ما يفعلون وماذا سيكون رد الفعل إن لم يؤمنوا أنفسهم... أتذكر عندما قامت الثورة في البرازيل أخذوا رئيس الحكومة ووضعوه في صندوق القمامة... هذا أفضل مكان لمن هم مثله... يُصاب الطريق بشلل أكبر حتى يُبتر منه الشخص المهم ويعود محاولًا العودة لعادته!

نفذت سجائري.. ولا أريد أن أذهب لأشتري واحدة.. أخاف أن يفوتني لقاؤه!!

"يحيى".. أنتظرك بجانب الشرفة التي دائمًا تنظر منها في ذلك الفندق الرخيص.. لماذا أحببت هذا المكان المليء بالضوضاء؟

obeikandl.com

ما الذي يثيرك في تلك الأماكن المليئة بالناس والوجوه الباهتة؟! لا علم ولا ثقافة!! لا أخلاق حتى إنهم تناسوا أنهم بشر.. يسيرون كالموتى.

السادسة ولم تأت... مازلت بجانب الشرفة. أرى في عادم السيارات وجهك، وكلما زاد العادم كونت منك جزءًا حتى يختفي مرة أخرى مثلك.....

obeikandl.com

(مذكرة ٢٣)

حل الليل.... فقد أصبحت الرؤية شبه معدومة! ثقل دماغي كثقل الفيل. لم يكن من الصعب فتحُ عيني؛ فلا رؤية إن فتحتها أو أغمضتها.. أسمع بوضوح ضحكات أنثى رقيعة.. اجتهدت أن أسند جسدي واقفًا في مكاني..... لا أجد ملابسي، ولا أجد محفظتي وموبايلي.... سرقت؟!

لا يهم.. أريد أن أعرف هل هذا يوم الحساب؟؟!!

ولكني أعرف أن القبر ضيق.... هل أنا من المؤمنين؟!

فالمساحة هنا واسعة... مظلمة ولكنها واسعة.. ويجب أن الضحكات الآتية لحور العين....

أريد أن أرى حور العين التي باسمها قُتل الملايين تحت راية الإرهاب رغبةً في حور العين!

هذه المعادلة المضحكة... تقتل لتفوز بامرأة!

إذا قابلت أحد الإرهابيين يومًا سوف أبلغه أن يذهب إلى حرز، وسوف يأتي له بنساء كثيرة من مختلف الأذواق.. ولا داعي للقتل.

obeikandi.com

ما هذا الذي أفكر فيه؟!.....

حرز..... تذكرت تلك الليلة التي عرفني على أحد نسائه مقابل بعض المال....

دخل حرز إلى قبري مبتهجًا وضوءٌ خفيفٌ يتسرب من خلفه.. بصوت سكارى يحدثني:

-ايه يا عم "يحيى" هتنام طول اليوم وتسيب مراتك كدة!! دي واكلة وشي برة، وشوية وهتنط عليا.

ما الذي يقوله هذا المنحط؟!

-أين أنا؟

سألته ليخبرني بأني في شقته المتواضعة على أسطح أحد المنازل، وأنا جالس بغية الحمام!

فقد أصررت ليلة أمس أن أنام وسط الحمام، معللًا ذلك بأنهم سوف يأخذونني ويحلقون بي إلى السماء.... هذا حلمي منذ الصغر!!

قطع حديثنا فتاةٌ سمراءُ اللون متناسقة الجسد.. ترتدي عباءةً سوداء وشعرها ذهبي طويل. تزيحه من مكانه واقفةً بجانبي الأيمن.. تضع يدها على شعري من الخلف وتقبل خدي!

obeikandl.com

–ايه يا قلب قلبي!! وحشتني من امبارح.

–انتي مين؟!

–أحا مراتك.

–انتي هبلة؟

–آااه هبلة وحبيتك.

يقف حرز وكأنه أمام فيلم كوميدي.. هستيريا ضحك لم أرها من قبل!

أبعدت يدها المثلجة عن جسدي وخرجت من الغية لأجد ضوء القمر مكتملًا أمامي.. بعد الكثير من أكواب القهوة والأكثر من السجائر بدأت أن أستعيد توازني....

وعرفت في حديث أشبه بالهزلية بيننا نحن الثلاثة أني تزوجت تلك العاهرة بالأمس تحت تأثير الكثير من مخدرات الهلوسة....

وها أنا الآن في مأزق بورقتيين عرفي في يد تلك المجنونة ذات الجسد الرائع!

–والعمل؟

obeikandl.com

سألتهم...

–مفيش ياقلبي.. انت جوزي وأنا مراتك.. تحب نعيش فين؟ عندك ولا عندي؟

–بس يا بت بطلي هبل وقطعي الورقتيين اللي معاكي... وإلا والله أخلي عيشتكوا سودة...

هذا التهديد بمثابة نكتة نطقت بها بالنسبة لهم!

وأخذ حرز هذه الفتاة التي لم أعلم اسمها حتى الآن وقبلها أمامي!

دقيقه أقف متفرجًا... عبث.... عبث.... ما هذا؟!

رد حرز:

–يا عم ولا تضايق نفسك.. نقطعهم وأتجوزها أنا..... أنا غلطان لقيتك بقالك تلت أيام قافل على نفسك مكتئب، جبتلك الحتة بتاعتي تقضي معاها ليلة مستحملتش!! اتجوزتها من ورايا.... ينفع كدة يا صاحبي؟!!

ويضحك!

–اخلص يالا.. هات الورقتين واخلص.

obeikandl.com

–طب ما تتظربنش علينا يابن الذوات.. انت اللي بوست رجلي نتجوز والله!

ثم أخرجت من حمالة صدرها ورقتين بخط يدي وأعطتهم لي... ولم تركز إن كنت واقفًا أم لا....

انقض حرز علي نهديها أكلًا إياهم؛ كالكلب الجوعان عندما يجد قطعة لحم ملقاة في الشارع.

نظرت حولي لأجد ملابسي ملطخة ومتسخة يبدو أني تقيأت عليها.. وبداخلهم محفظتي وكل متعلقاتي. سحبتهم في صمت بعد أن أصبحا عرايا تمامًا يغطيهم ضوء القمر..... لا وجود لي أمامهم وأصبحت أنا الشبح لديهم غير مرئي.

معلنين حقيقتي الغير موجودة في هذا العالم.....

obeikandl.com

حل الليل ... فقد أصبحت الرؤية شبه
معدومة) ثقل دماغي لثقل الفيل) لم يكن
من الصعب فتح عيني) فلا رؤية إن فتحتها أو
أغمضتها) أسمع بوضوح خطوات أنيس رفيقة)
إجتهدت أن أسند جسدي وأقف حالاً .
لا أجد ملابسي) ولا أجد محفظتي وموبايلي)
سرقت ؟!
لا يهم ... أريد أن أعرف هل هذا يوم الحساب ؟
ولكن أعرف أن القبر ضيق ... هل أنا من المؤمنين ؟!
فالمساحة هنا واسعة ... مظلمة ولكنها واسعة)
ويجب أن تكون الضفدعان الذهبية الحور العين ...
أريد أن أرى حور العين اللاتي بأسمها قتل الملايين
تحت راية الإرهاب رغبة في الحور العين !
هذه العادلة الضحكة ... قتل لتفوز بإمرأة !
إذا قابلت أحد الإرهابيين يوماً) سوف أبلغه
أن ميت وإلى حور) وسوف يأتي له بنساء
كثيرة من مختلف الأذواق) ولا داعي للقتل .
ما هذا الذي أفكر فيه ؟!

حمزة .... تذكرت) تلك الليلة التي عرضت على أحد نساؤه مقابل بعض المال ...

دخل حمزة إلى قبري) مبتوجاً) وضوء خفيف يتسرب من خلفه بصوت مكاري يحدثني :

- إيه يا عم " يحيى " الحتة طول اليوم وتسيب مراتك كده ديه والله وحشة بردو) وشوية وهتنطط عليا .

ما الذي يقوله هذا المخبول ؟!

- أنا فين ؟

سألته ليخبرني بأني في شقته المتواضعة على أسطح إحدى المنازل) وأنا جالس في غيبة الحمام ! فقد أحضرت ليلة أمس أنا وأم وسط الحمام معللاً ذلك بأنهم سوف يأخذوني و يحلقون بي إلى السماء) هذا جلس منذ الصغر !

قطع حديثنا فتاة سمراء اللون) حتنا سمة الجسد) ترتدي جلباباً سوداء وشعر ذهبي طويل) تزيح حمزة من مكانه ليقف بجانبي الذيذ) تضع يدها على شعري من الخلف و تقبل رأسي !

- وايه يا قلب قلبي وهشتني من واحباري.
- وانتي مين ؟!
- انا مراتك.
- وانتي هبلة ؟
- أه هبلة وجبتك.

يقف صرخ مرتاعة (ما فيلم كوميدي) هيستريا ضحك لم أراها من قبل!
أبعدت يدها الهائجة من على جسدي) وخرجت من الغرفة لأجد ضوء القمر مكتمل أمامي.

بعد الكثير من أكواب القهوة والكثير من السجائر بدأت أستعيد توازني) وعرفت بحديث أشبه بالهزلية بيننا نحن الثلاث) إني تزوجت تلك الحاضرة بالأمس تحت تأثير مخدرات الهلوسة) وها أنا الآن في مأزق بين قميص خرفي في يد تلك المجنونة ذات الجسد الرائع!

- والحل ؟

سألتهم....

- حافيش يا قلبي) وانت جوزك وأنا مراتك) أحب نعيش فين ؟ عندك ولا عندي ؟

- بس يا بت) بطلي صبل وقطع الورقين
اللي معاكي وإلا والله هصفلي عيشتكوا سودة

هذا التهديد بمثابة نكتة نطقت بها بالنسبة لهم !
وأخذ حرز هذه الفتاة التي لا أعرف إسمها حتى الآن ،
وقبلوا أمامي !
دقيقة وقفت فيها متفرجاً ... عبث ... عبث ...
ما هذا ؟
رد حرز :
- يا عم ولا تضايق نفسك نقطعهم
وأتجوزها أنا) أنا عايزها لقيتك بصالك
تلت أيام قاعل على نفسك متكتب) جبتلك
الحتة بتاعتي تقعد معاها ليلة) واستحملش
وأتجوزوا من ورايا ... ينفع كده يا صاحبي

ويضحك ...
- إخلص يالا) صاحب الورقين وإخلص .
- طب ما تتظرينش علينا يا بن الذوات)
إنت اللي بوستك رخيص علشان تتجوز .
ثم أخرجت من حقيبة صدرها ورقتين بقطيدي
وأعطتهم لي ... ولم تتركني إن كنت واقفاً أم
لا ...

بعد أن وافقت حرز على تهديدها (أو كلأ وإياهم)
كالكلب الجوعان عندما يجد قطعة لحم ملقاة في
الشارع.
نظرت حولي لأجد ملابس ملطخة و متسخة
يبدو وأني تقيأت عليها) و بداخلهم محفظتي وكل
متعلقاتي الشخصية في جيوبهم.
فقد أصبحا عرايا تماماً يغطيهم جنود القصر...
لا وجود لي أمامهم) وأصبحت أنا الشبح لديهم)
غير حرفي حقيقتي الغير موجودة في هذا
العالم....

(مذكرة ٢٤)

التقيت ب (حرز) عدة مرات متقطعة بعد حادث زواجي من امرأته! بعضهم بمفردي والآخر مع كيارا التي كانت تصر أن تلتقي به بنفسها من آن لآخر، غير مستكفية بما أنقله لها عن لسانه.. حتى هذا اليوم الذي أرادت فيه الذهاب إلى منزله.. بالتحديد القبر الواسع الذي أخبرتها به وهي تضحك مثلها مثل حرز ذلك اليوم... تركتهم لأشتري سجائر لتكمل حديثها معه عن فضولها بحياته التي أصبحت لها قيمة بعد أن وجدتها كيارا!

في طريقي إلى العودة وقبل أن أصعد لهم رأيت كيارا مهرولةً خارجةً من باب العمارة بملابس مقطعة!! صارخةً في وجهي بأن حرز أراد أن يغتصبها!

صعدت إليه لأجده غارقًا في دمائه مغمى عليه على أثر ضربها له بزجاجات البيرة..... تركته وأخذت كيارا مسرعًا خارج منطقته التي يوجد بها الكثير مثله.. وإذا عرف أحد ما حدث سوف نُقتل هنا، ولا أحد سوف يعرف....

تلقيت بعدها تليفونًا من حرز يخبرني بأسفه، وأنه لم يكن في

وعيه.. وأن أكثر ما يؤلمه أن ترفضه أنثى! وأن كيارا كانت (بتتمايص عليه).. ولما أذن لغوله النهوض تمنعت!! حتى إنها أخبرته بأننا متزوجان. ولكن جائز يوم من الأيام أن حكى لها كل أسرار حياته وأمه وأخواته سوف تجعله ينال ما يشاء.. الأمر الذي جعله ينقض عليها.....

أصدق هذا الهائج الناقم على نساء العالم.. فأنا أعرف كيارا جيدًا؛ وأعرف وسائلها التي تجعلك في حيرةٍ من أمرك.. هل تريدين أم لا.....؟!!

وسيلة الترغيب وليس التمكين.. أخبرته أن ينسى ما مضى.. وإن أراد أن تظل علاقتنا طيبة (منفتحش الموضوع ده تاني)..

وأني قبلت أسفه.. ثم أخذته إلى كيارا متأسفًا لها.. ولم يلتقيا مجددًا.. ولكني أبقيت على لقائه لا أعلم لماذا!!

والتقيت بسرين عدة مرات متقطعة بعد حادث زواجها من امرأته !) بعضهم بمفردي والآخر مع كيارا التي كانت تصر أن تلتقي به بنفسها من أن لآخر) غير مستكفية ما أنقله لها عن لسانه) حتى هذا اليوم الذي أرادت فيه الذهاب إلى منزله) بالتحديد القبر الواسع الذي أخبرتها عنه وهي تضحك مشفقا مثل حزن ذلك اليوم .

تركتهم لأشتري سجائر) لتكمل حديثها معه) عن فضولها بحياته التي أصبح لها قيمة بعد أن وجدتها كيارا !

في طريقي إلى الخوذة و قبل أن أصدهم) رأيت كيارا مهرولة خارجة من باب العمارة بملابس متقطعة) هيارغة في وجهي بأن حزن أراد أن يغتصبها !

صعدت إليه لأجده غارق في دمائه) ونصل عليه أثر ضربها له بزجاجات البيرة .... تركته وأخذت كيارا مسرعاً خارج منطقته التي يوجد بها الكثير مثله) وإذا عرف أحدهما حدث سوف نقتل كلنا ولا أحد سوف يعرف ....

تلقيت بعدها بعدة أيام تليفون من حزن يخبرني بأسفه ، وأنه لم يكن في وعيه ، وأن أكثر ما يؤلمه أن ترفضه (حزن) ، وأن كيارا كانت (بتتمايص عليه) ولها أذن لقوله النهوض ، تمنعت ... حتى أنها أخبرته جائزة يوماً من الأيام أن حكى لها كل أسرار حياته ، وأنه وإخوته B سوف تجعله ينام ما يشاء ، الأمر الذي جعله ينقض عليها ....

أصدق هذا الهاجم الناقم على نساء العالم ، فأنا أعرف كيارا جيداً ، وأعرف وسائلها التي تجعلك في حيرة من أمرك ، هل تريدها أم لا ..؟ وسيلة الترغيب وليس التهديد .

أخبرته أن ينسى ما مضى وأن أراد أن تظل علاقتنا طيبة (ما نفتحش الموضوع ده تاني) وأني تقبلت أسفه ، ثم أخذت إلى كيارا حتى أسفاً لها .

لم يلتقوا مجدداً ، لكن أبقيت على لقائه لا أعلم لماذا !....

"النهاية"

أملك نسخة من مفتاح الشقة.. مازلت أحتفظ به. كنت أعرف أني سوف أعود يومًا حتى في الفترات التي تملك مني الاكتئاب والعزلة كنت أعرف أن العودة من أجل أحبتي ضرورةٌ لابد منها.....

فتحت باب الشقة الموصدة بإحكام.....

رائحتها مازالت موجودة بين الخشب والأثاث.. وكل حركة أخطوها أجد خصلات من شعرها الذي دومًا ما يتناثر في أرجاء المكان الذي تجلس به، وكأنها هنا.....

تحسست الأريكة التي نمت عليها كثيرًا في الماضي.. انسبت بداخلها على أن تخرج من غرفتها.....

يوجد بجانب الغرفة لوحة سيريالية.. كنا نتأملها ونضحك لجهلنا ماذا تعني؛ ولكنها أعجبتنا!! مثلما تركتها منذ عامين مازالت الشقة... تلك الشقة بالمنصورة التي شهدت كل نجاحاتها وسقطاتها،، حتى عزلتها في غربتي..... مازلت خائفًا أن أفتح حجرتها ولا أجدها بالداخل!! هذا الأمر الواقع لا أصدقه حتى الآن.

obeikandi.com

عدتُ ولم يبق لي إلا ثلاث.... حرز،، كيارا،، سارة!

لم يبق لي إلا ثلاثُ علاقاتٍ هشة، أزحمت بهم روحي هربًا من الوحدة.. ولم يتأثروا كما تأثرت أمي ويارا!! علاقات كثيرة غير مجدية من أجل البقاء حيًا! من أجل التعايش في مجتمع ينفرنا منه، ومنظومة تقتل كل بريء ونظيف بداخلنا....

حتى علاقاتي السطحية الكثيرة بمختلف الناس لم تجد نفعًا!! لا تملأ فراغات روحي... فقد حاولت الذهاب للممر المؤدي لي، ثم عدت لغير عادتي!!

أخاف الموت بعد أن أقبلت عليه عدة مرات.. لماذا لا أقتحمه الآن بعد أن أصبح لا أحد لي؟!

بحثت كثيرًا عن أحدٍ من الثلاث! رحلت كيارا بعد أن انتهت من بحثها تاركةً كل من كان في بحثها في المستنقع ذاته دون خطوةٍ للأمام.. وحصلت هي على الدرجة العلمية التي طالما أرادتها عن الدول النامية!

"التجانس الطبيعي والمادي والحضاري والبشري.. الوحدة الطبيعية والسياسية.. من السبق الحضاري إلى التخلف،، من امبراطورية إلى مستعمرة،، من الطغيان الفرعوني إلى الثورى الاشتراكية،، الأساس

openkandl.com

الطبيعي الخارجي للبناء الحضاري،، مركزية رغم الامتداد،، كثافة بلا هجرة،، تعدد الأبعاد.. التوسط والاعتدال والتشدد.. الاستمرارية والانقطاع.. ثنائية الوطنية القومية.. تلك إذن في رؤوس موضوعات هي أبرز خصائص شخصية مصر التي يتعين علينا الآن أن ندرس ونحلل بالتفصيل".(١)

هكذا بدأت كيارا بحثها مقتبسة من المؤرخ "جمال حمدان" عن موسوعته "شخصية مصر".. وقد وجدت الكثير من ورقها البحثي ملقى بجانب المذكرات.. يبدو أن "يارا" أقنعتها بالاطلاع عليه.. الشيء الذي فشلت أن أقنعها أنا به.. فكانت دائمة الحرص أن لا يقرأ أحدٌ بحثها قبل اكتماله ونشره.. وفيما يلي بعضٌ من البحث في أوراقٍ متفرقة.. كُتب بالإيطالية:

(١)–موسوعة جمال حمدان (شخصية مصر)

obeikandl.com

"ورقة ١"

العالم الثالث هو أكبر متحف عالمي للحفريات السياسية ومخلفات الطغيان والاستبداد الشرقي القديم والمرجعيات البدوية البدائية العتيقة المتحجرة.. فضلًا عن أنه غدا أبشع معقل للديكتاتورية العسكرية والفاشية الشرعية الاغتصابية الفاسدة نصف المتعلمة أو نصف الجاهلة.. ووكأنما قد حكم عليه بأن يستبدل الاحتلال الاجنبي القديم أيام الاستعمار , بالاحتلال الداخلي الجديد تحت الاستقلال , هذا استعمار خارجي , وهذا استعمار داخلي.

مصر مجتمعٌ مدنيٌ يحكمه العسكريون كأمر عادي في الداخل.. وبالتالي وظيفة الجيش الحكم أكثر من الحرب.. ووظيفة الشعب التبعية أكثر من الحكم.. وفي ظل هذا الوضع الشاذ المقلوب؛ كثيرًا ما كان الحكم الغاصب يحل مشكلة الأخطار الخارجية والغزو بالحل السياسي، وأخطار الحكم الداخلية بالحل العسكري.. أي إنه كان يمارس الحل السياسي مع الأعداء والغزاة في الخارج، والحل العسكري مع الشعب في الداخل.. فكانت دولة الطغيان كالقاعدة العامة:

(استسلامية أمام الغزاة؛ بوليسية على الشعب)!!

ولذلك؛؛ مصر مرشحة في ظل خيارها ليس بين السيء والأسوأ؛ بل بين الأسوأ والأكثر سوءًا.. لتتحول في النهاية من مكان سكن على مستوى وطن إلى مقبرة بحجم الدولة...

"ورقة ٢"

ممزقة لآخرها ولا يوجد بها سوى....

"نستطيع أن نعبر عن الموقف الجيوستراتيجي كله بإيجاز وتركيز في سلسلة من المعادلات الاستراتيجية:

-من يسيطر على فلسطين يهدد خط دفاع سيناء الأول.

-من يسيطر على خط دفاع سيناء الأوسط يتحكم في سيناء.

-من يسيطر على سيناء يتحكم في خط دفاع مصر الأخير.

-من يسيطر على خط دفاع مصر الأخير يهدد الوادي.

obeikandi.com

"ورقة ٣"

المأساة الحقيقية في ذلك أن مصر لا تأخذ في وجه الأزمات الحل الجذري الراديكالي قط؛ وإنما الحل الوسط المعتدل.. أي المهدئات والمسكنات المؤقتة. والنتيجة أن الأزمة تتفاقم وتتراكم أكثر.. ولكن مرة أخرى تهرب مصر من الحل الجذري إلى حل وسط جديد،، وهكذا..... بعبارة أخرى؛ مأساة مصر في هذه النظرية هي الاعتدال، فلا تنهار قط.. ولا هي تثور أبدًا.. ولا هي تموت أبدًا.. ولا هي تعيش تمامًا.. إنما هي في وجه الأزمات والضربات المتلاحقة تظل فقط تنحدر وتتدهور، تطفو وتتعثر،، دون حسم أو مواجهة حاسمة تقطع الموت بالحياة أو حتى الحياة بالموت!! منزلقة أثناء هذا كله من القوة إلى الضعف، ومن الصحة إلى المرض ومن الكيف إلى الكم.. وأخيرًا من القمة إلى القاع.... غير أن النتيجة النهائية لهذا الانحسار المستمر المساوم أبدًا وصفات التراجع إلى مالا نهاية هي أنهم سيصلون يومًا إلى نقطة اللاعودة إلى الحل الوسط.. وعندئذ سيفرض الحل الجذري الراديكالي نفسه فرضًا.. ولكن بعد أن يكون المستوى العام قد تدنى إلى الحضيض، والكيف قد تدهور إلى الكم، والمجد إلى محض التاريخ...

وكما كان يصور "بيتري" شعب مصر فيقول:

–شعب مصر مجد قوي يعتريه الضعف كل بضع مئات من السنين – طبيعة الأشياء – فتتعرض بلاده للغزاة من الجنوب والغرب والشرق، فيتعرض هو لمؤثرات مختلفة.. لكنه بالرغم منها ظل يحتفظ بطباعه وصفاته القومية، وبشخصيته المتميزة بارزة المعالم.

opeikandl.com

"ورقة ٤"

ممزقة هي الأخرى

ثم يطرح أهم سؤال في عصرهم الحديث: لماذا تعاصرت ظاهرة "التحرير" في العالم عمومًا وليست مصر لوحدها؟؟!!

والرد يكمن في "Zeitgeist" .(١). لقد أصبح التحرير هو أيدولوجية الشعوب النامية التي طال كبتها.. وإنه المناخ السياسي الذي جعل الثورة على الاستعمار ظاهرة كوكبية في العالم كله. لا علاقة لتوقيتها بعمر الاستعمار الخارجي أو الداخلي.. دون أن يقلل هذا البتة من دور الكفاح الوطني نفسه.

-(١)

ويدل مصطلح «زايتجايست» (Zeitgeist) وهو مأخوذ من الكلمة الألمانية تسايت جايزت التي تعني روح العصر عموماً على المناخ الفكري والأخلاقي والفكري الذي تتسم به حقبة معيّنة أما كلمة حركة فهي مستخدمة للدلالة على الطبيعة الحركية والتغيير. ومن هنا، تدل تسمية حركة زايتجايست (TZM The Zeitgeist Movement) على منظمة تسعى وتشجع على إحداث تغيير في المناخ الفكري والأخلاقي والثقافي السائد في عصرنا هذا.

obeikandi.com

وسجن حرز... ولم يبق إلا سارة.... ذهبت إلى بيتها.. استقبلتني أمها داعيةً عليّ أنا ويارا بأننا السبب في خروج سارة من تحت طوعها!! وكأنها خرجت من الجنة!!

عرفت لاحقًا أنها عملت بإحدى الجمعيات الخيرية.... ذهبت لها وما أن رأتني صفعتني على وجهي باكية!

صارخةً بوجهي؛ كم كنت أنانيًا، وكم كنت وقحًا... لم أصدها عما تفعله بي ولا أوقفتها عن صراخها وسط مقر الجمعية التي تعمل بها... لا أستطيع!! أو كنت أستحق ما تفعله..... أفرغت كل ما بداخلها حتى هدأت.....

شارحة لي عما فعلته يارا معها، وكيف كانت في السنة الماضية قبل انتحارها.....

أكملت مسيرة كنت أفعلها مع سارة لإحساس بداخلي أنني أستطيع أن أغير شيئًا؛ وهو أخذ سارة من براثن أمها.. ولكنني فعلت ذلك في الماضي فقط لإرضاء غروري.. لكن يارا استطاعت في مرضها حين تقمصتني وأصبحت أنا أن تفعل الخير الحقيقي.. أخذت سارة من أمها وأعطتها شقة تسكن فيها مدفوعة الأجر لمدة سنة..

وأوجدت لها عملًا وظلت حتى موتها بقليل تعطف عليها وهي غير واعية... وصلت لأشد مرضها حين قصت شعرها تتعامل مع ساره بنبرتي وهيئتي. حتى إن سارة في الآونة الأخيرة بدأت الخوف منها بشدة لحزم يارا عليها!! لم تكن سارة ناكرةً للجميل الذي فعلته يارا معاها؛ فوقفت بجانبها خلال مرضها، حتى بعد انتحارها.. رتبت كل إجراءات الجنازة، حتى قبل أن يعرف أهل يارا بالوفاة.

أخبرتني سارة بأن يارا بحثت كثيرًا عن حرز، الذي بدوره انضم إلى خلية إرهابية محلية الصنع بعد أن خرج من الحبس بسبب ضربه لأمين شرطة.. بدأ أن يتخذ نشاطًا آخر للبلطجة باسم الدين؛ وهو قطع بنطال النساء "المتبرجات" في نظره بالموس، ومحاولاته لحرق البارات بوسط البلد بإلقاء المولوتوف عليها مرارًا وتكرارًا.. وبعد أن فشلت يارا في ردعه أبلغت عنه إلى أن سُجن مرة أخرى.. كيف فعلتي ذلك يا يارا؟! وكيف تقمصتني وجلبتِ بداخلي الشجاعة في هيئتك؟!

لم تكتف!! فذهبت إلى كيارا حتى تعرفت عليها وهي عدوها اللدود.. كانت دائمة الغيرة منها.. كانت تراها تأخذني منها وتستغلني لإتمام بحثها اللعين.. هذا البحث الذي أوضح لي خبايا الوطن النتنة أكثر!!

يوم الحادث المشئوم الذي جعلني أترك البلاد؛ حاولت الوصول إلى

obeikandl.com

كيارا ولكن روحي المثقلة حينها منعتني!! وحاولت أيضاً كيارا الوصول إليّ عدة مرات ولكنها لم تكن بالإلحاح أو الاهتمام الذي حاولت به يارا.. تعرفت عليها وأصبحتا أصدقاء.. حتى إن أقنعتها بهيئتي وقصة شعري وارتدائها ملابس بذوقي أن تقنعها بممارسة الجنس معها.. كيارا تلك الفتاة الجامحة التي تفتح ساقيها لرغبتها.. عكس سارة الفتاة المقهورة التي تفتح ساقيها رغمًا عنها.....

آاااه... ما كل هذا؟ كيف غبت وكيف عدت؟! ولماذا؟!!

أريد أن أدخل حجرتها وأراها!! ولكن قد فات الآوان.. لماذا دفنوا جثتها وكانت تريد أن تُحرق بعد موتها!! لا تريد أن ياكلها الدود وتصبح عظامًا عفنة.

اتجهت إلى الممر المؤدي إلى غرفتها ثم عدت.. ثم اتجهت مرة أخرى متقبلًا أنها ليست بالداخل.. فتحت باب الحجرة لأجدها لم تكن كسابق عهدها مثل باقي الشقة.. يبدو عليها الاتساخ، غير مرتبة.. يفترش الأرض الكثير من الورق وبعض الدماء على عدة أوراق.. الكاميرا مازالت واقفة هنا بداخلها شريط.. يبدو أن لا أحدًا رأى ما يحتويه.. فقد أخبرتني سارة بأنها فتحت الشقة وقد أعطتها يارا نسخة من المفتاح لتجدها غارقةً في دمائها.. حتى جاءت سيارة الإسعاف ونقلتها.. لم يأت أحد من الشرطة لفحص الشقة ويرى إن

كانت ماتت مقتولةً أم منتحرة!! لا يهمني هذا الهذل الآن.. فقد ماتت.....

انتقيت جميع الأوراق الموجودة في الغرفة وقرأت ما بها.. وقد قررت نشرها كما هي دون ترتيب؛؛ بقطرات الدماء،، وبعض من القهوة،، والكثير من دموعي.

قرأت ما كتب وكأنها أنا.. حتى ذكرياتي التي حكيت لها عنها كتبتها!!

لم أكتب يومًا مذكرة.. وكنت دائمًا أقول لها يومًا ما سوف أكتب مذكراتي.

كتبتها لي وكأنها تكتب بلساني ومشاعري؛ حتى أدق التفاصيل.....

أدرت الشريط الموجود بالكاميرا التي أهدتها إياها منذ أربعة أعوام، ولم أكن أعرف أنها ستسجل عليها يومًا ما رأيت.....

(فيديو أخير)

تجلس يارا أمام الكاميرا ويبدو عليها الاتزان!!! ولكن بملابس مهرتله متسخة، حالقه شعر رأسها.. متشبهة في هيئتها بالرجال؛ أو بالأخص شخصٍ يشبهني.. حركة الجسد والكلام والنبرة. لو لم أعرف ما حدث كنت تشككت أنني أمام مرآة بملابس متسخة!! يوجد في معصمها شريطٌ أحمر، وكف يدها من الخارج بقايا حقنة الجلوكوز.. أصبحت نحيفة من أثر الأدوية.. فقد ظلت قرابة العام ونصف بداخل مستشفى لعلاجها من مرض الانفصام.

-متخفش مش هتكون لوحدك.....

نطقت جملتها الأولي بصوتها! ثم تغير لأسمع صوتي خارجًا من جسدها الهزيل!

-لم ترحل بمفردك؛ فمنذ فراقنا رحلت بروحي معك.. تجردت من ملابسي كي أفقد ما تمسكت به يومًا.. وتركت للمارة إشارتي أن يشرفوا بحضرتي.. أعدك بأني وافية على بقائك.. انسحبت ولم تكن علتي سوى شفاء.. لا تخف؛؛ اختر الطريقة التي تراها مناسبة وسوف نفعلها سويًا.

ثم نهضت من مكانها واتجهت إلى الكاميرا كأنها شخصٌ حيٌّ يقفُ أمامها.. احتضنته وقبلت العدسة، ثم نظرت إلى عينه:

–كنت الأب الذي يحميني، والأخ الذي أحبني، والصديق الذي أخلص.. وها نحن نلتقي من جديد.....

أفضل الموت بطريقتك التي اخترتها لي قديمًا.. لا أعلم كيف فعلتها!! فاستغرقت الكثير من الوقت كي أصبح مثلك.....

أمسكت بسكينٍ صغيرٍ تمشي به بين معصمها إلى أن قطعت شريانها وهي تضحك والدموع تملأ عينيها.

–لا تقلق إن كنت تراني بالأعلى.. فإلى أن تجف عروقي سأملؤها بدمائك ونخلط الروح معًا.

ماتت قبل أن أودعها.....

أتذكر بعضًا من الرسائل التي كنا نرسلها لبعضنا البعض عندما يذهب

أحدنا خارج البلاد.. كنا نرسلها بالطريقة القديمة خلال البريد:

"رسالة ١"

سافرت حينها "يارا" لإحدى البعثات في النمسا، وأبلغتني أنها سوف تغيب ثلاثين يومًا.. وأتذكر حينها أني كنتُ غارقًا في إحدى غيباتي الفارغة، ولم أوصلها إلى المطار.. وأرسلت لي حينها رسالة توبخني على هاتفي.. فأرسلت لها:

"نادرًا ما أعجز عن الوصف.... فالحب أنواع؛ نوع يصدر.. ونوع يستورد.. والأخير أنتِ...

انتي عارفة.. بيقولوا الإحساس بالأمومة يخلق منذ الولادة؛ وكذلك الإحساس بالأبوة!

فاكرة لما سألتي (عارف يا يحيى أنا شفت معاك كام مرة شروق الشمس؟)

ساعتها افتكرتي ردي بالسكوت اني مش فاكر!! عارفة سكوتي كان ليه؟

سكوتي كان بعدد اللحظات اللي بينا،، والذكريات والأحلام..

obeikandi.com

والصبح اللي بتحكي عنه. انتي متعرفيش منه غير لون الشمس والمكان، وممكن الحوار.. بس عمرك ما هتفتكري لون لبسك ولا شكل تكشيرتك أو ضحكتك، وجمال عينك بالدموع.. ولا حركة ايدك ولا عمرك فاكرة في كل صبح من دول كنتي حاسه بإيه.. ولو فاكرة عمرك ماهتعرفي أنا كنت بفكر في ايه..

يا صديقة؛؛ ثمة قصص لا تنتهي عند نهايتها. ربما لأن بعضًا مما عشناه فيها يظل معنا كالنبض، كدقات الحياة.. كموسيقى تهج فيها حواسنا، فتقشعر صمتها. كلما ران عليها الضجر...

في كل صبح من اللي عدتيه ألف تفصيلة تبني حياة.. وكل صبح مليون لحظة ومليون فكرة ومليون شكل للحب!

لا حب حبيبة ولا صديقة.. ولا انتي بنتي ولا انتي أمي.. ولا حتى صاحبي.. ولا وش عدى جنبي مرة فاكره....

انتي كل دول!

فكيف تجرأتي بالحكم على كل أشكال الحب في الأرض!! وكل ما ينبثق منه الحياة؛ ولم تدعيني آخذك بين ذراعي، وأنت تعلمين أن غيابك سيطول ثلاثين يومًا؟!

وكيف تركتِ لي كلمة واحدة تراوغني (الانتحار)؟!!! "

obeikandl.com

"رسالة ٢"

صغيرًا تيقنت أن الأصدقاء من السهل أن يتحولوا إلى أحباب؛ ولكن لا يمكن للأحباب أن يعودوا مرةً أخرى كالأصدقاء!! هناك شيءٌ لا أعلمه جيدًا.. ونادرًا أن تتحول تلك إلى ذاك.. فلماذا أمارس معكِ كلَ الحيل بأن نبقى أصدقاء؟ هل من الممكن بأنني لا أريد خسارتك؟؟!!

ردت بورقة فارغة أوصلتها لي تحت فتحة باب شقتي وبها كلمة واحدة:

-غبي....

"رسالة ٣"

-"العمق... ليس مجرد كلمة.. عمق المشاعر بيني وبينك لم يستوعبها من نال نشأةً غير نشأتنا.. أو بمعنى أدق كما ربيتك.. فأنا من جعل من قلبك محرابي، وجعلت عقلك كتابي، أنشأت فيكِ

obeikandl.com

أحلامي، وكل نقصاني في الحياة رممته فيكِ. كنت أمارس كل عاداتي الطفولية.. العنفوانية.. الأنانية.. والاستبدادية والحيوانية!

والقليل من الحب أعطيكِ، فترممين به نفسك وتلهمينني. ولم ألاحظ يومًا أن الصورة التي ظللت عمري أرسمها لامرأة قد اكتملت فيكِ!! تلك الصورة.. هي الصورة... أصبحت حقيقية في الفراق".

أتذكر ردها على تلك الرسالة:

"رسالة إلى من علمني:

لم تكن يومًا غير مرشدي إلى النور.. ولم تكن أبدًا أنانيًا.. فكل أنانية تصدر منك تشكل فيّ سعة الصدر.. وكل حيوانية منك علمتني الفرق بينك وكل رجال الأرض.. وكل عنفوانية منك جعلتني أنضج، كما يعاقب الأب ابنته.. وكل استبداد منك حب...

أما عن طفولتك الطائشة؛ فكانت أكثر ما يؤلمني.. فقلب الأم يخشى صراخ طفلها؛ وإن جن جنونه".

وهنا لم أملك الرد.. فكل كلماتي ذابت، وكل حواسي توقفت، فلم يكن للوقت وقتٌ وقد غابت...

ولم يبق غيري هنا... وبكلي هناك؛ معها!!

obeikandl.com

لم أفهم في بادئ الأمر كل هذه المصطلحات التي أخبرني بها طبيبها.. انفصام؛ اضطراب.. فأوضح لي أنها تتوهم بأنها شخصٌ يُدعى "يحيى".. تتحدث بنبراته وتتشبه في هيئته.. لم يتوقف الأمر إلى هذا الحد. فأصبح لها عادات غريبة... كتسجيل فيديوهات لتحكي قصة حياته وقراءة مذكراته بصوتٍ عالٍ، مقتنعةً أنه انتحر وإنها سوف تذهب إليه.. لم تفلح محاولات الأطباء في ردعها عن ذلك.. واستنفذوا كل ما يملكون! ولم يجد طبيبها إلا أن يخرجها من المستشفى أو يضعها في مشفى للحالات المماثلة حتى تنتهي آلامها....

لم أستطع تحمل ما حدث سابقًا فتركت البلاد ذاهبًا حول العالم، فاقدًا نفسي!! كنت أنوي الانتحار وأخبرتها كثيرًا عما أنوي قبل غيابي.. ولكني تعافيت..

استطعت أن أجعل من حالتي نشوةً للحياة؛ أو فقدت شجاعة الاكتئاب عندما يتملك منك فتفعل أي شيءٍ حتى وإن كان الموت.....

قررت العودة بعد عامين. وقد فقدت ما أملك!! ظننت أنني انتحرت وسبقتني. لم يقف الأمرعند ذلك فقد أخبرتني سارة أنها ذهبت إلي أمي وقبلتها وكنت دائمًا أحدثها عن اشتياقي لأمي وهي أمام عيني

وكيف تربيت أني أخجل أن أنام في حضنها أو أن أقبلها!! حتى في شدة مرضها كنت أبخل عليها بالعاطفة متخفيًا وراء تماسكي بعدم الانهيار. كم كنت أشتاق أن أقبل أمي وأقول لها أتذكر لحظة وفاة والدها (جدي) عندما نظرت لي لتهون عليّ خوفي عليها:

–لا تقلق فلم يمت أبي؛ فأنت ابني وأبي وزوجي الذي أنجبته.....

ذهبت يارا وقبلت أمي حتى إنها باتت معها ليلةً كاملةً في حضنها.. وإلى كيارا ومارست معها الجنس.. وإلى سارة وأحبتها وأنفقت عليها.

فعلت ما كنت أريد فعله مع أناسٍ حكيتُ عنهم أمامها. حتى وإنها انهالت بالعصا على الضابط الذي ذهبنا إليه سويًا قبل غيابي وأخرجوها من الحجز بأمر من المشفى!! فعلت كل ما افتقدته وما أردته!!

سجلت الكثير من الفيديوهات على أن تراني في نفسها.. حتي وإنها تخيلت طريقة انتحاري! كيف كنت بهذا الغباء؟!! كيف أتيت بعد موتها؟!!!!!!

تاركهةً لي أثرًا لا يغني ولا يشفي وجعي، ولا يجعل من ندمي شيئًا.. كيف كنت أنانيا؟!!

أمي ماتت بحسرتها في غيابي.. ويارا انتحرت بمفردها ونحن المتفقان

على فعلها سويًا.. لا أملك الشجاعة كي أفعلها الآن!! فأنا دنيوي أحببت كل ما فيها حتى شقائي أردته واخترت لطريقي الوحدة حتى أتعب وأعود لأجدد ندمي بالفراق!!!

أليس من الممكن أن يكون الأمل هو ما يدفن حياتنا في انتظار فرصةٍ جديدة... الأمل أحيانًا شيءٌ قاسٍ ومخذل!! بل في أغلب الأحيان... هذا الدافع الوهمي الذي يجعلك تجري بشريط حياتك دون توقف؛ ظنًا منك أنك في مرحلة تمهيدية للأشياء العظيمة التي ستحدث لك.. فتصبح كلُ مرحلة فترة هتعديها على خير.. هذا العمل الذي تبذل فيه كل جهدك ووقتك دون أن تحبه هو بالطبع مجرد بداية لك ستحكي عنها وأنت من أنجح وأغنى رجال العالم.. هذه العلاقة التي حطمت كل ما تبقى منك هي بالطبع لم تكتمل لأنك تستحق الأفضل وأن شريك حياتك الكامل آتٍ يومًا ما لتضحكوا سويًا على علاقاتكم السابقة.. كل التعويضات المجزية آتية بضمان الأمل!

الأمل الذي يصور لك كل هذا البؤس والضياع الذي تعيشه على أنه مجرد سلمة مكسورة على درج السعادة التي تستحقها.. فتمر كل فترة في حياتك على أمل أن تنتهي.. لتأتي فترةٌ بعدها تأمل أن

تنتهي... دون أدنى شك أو تساؤل إن كان ما يمر بك هي الحياة.

وإن لم يمنعك غرورك ومبالغتك فيما تستحق من إدراك أن نهاية هذا السلم هو نهاية حياتك!!

لربما رقصت قليلًا فوق تعرجاته، وبحثت بين حجارته عن معنى لوقوفك عليه؛ دون الاندفاع لتخطيه... على أمل!!!

« انتهت »

القاهرة ٢٠١٧

obeikandl.com